

مذاهب و شخصیات



محمّد یوسف

۱۰۰۰۰
۸۱۲.۶۱۰

مستلم
سیمون ری بوئوار
میرزا علی



تعمیر
فاطمه عبدالله محمود

مذاهب و شخصیات

مأساة تعذیب

محلیر بوباجا

بہت نام
سیمون ری بوٹوار
جیزیل ہایمی

تعریب
فاطمہ عبداﷲ مجود

تمهيد

بقسم سيمون دي بوفوار

فتاة جزائرية في ربيعها العشرين .. عضو في جبهة التحرير الوطني .. قبض عليها .. واودعت غياهب السجن .. واعتدى رجال البوليس الفرنسي على عفافها بواسطة عنق زجاجة .. هل في هذا الامر شيء من الغرابة والعجب ؟ .. طبعا لا .. انه شيء طبيعي جدا فنحن معشر الفرنسيين شركاء منذ عام ١٩٥٤ في ارتكاب جرائم القتل البشعة .. منذ ذلك الحين قتل اكثر من مليون ضحية تحت ستار غاشم خادع اسمه : مقاومة الثورة او قمع التمرد ..

وبواسطة هذا السلام الغاشم فتك بالآلاف الرجال الابرياء والنساء العزل والشيوخ والاطفال الضعفاء الذين لاحول لهم ولا قوة ..

تحت هذا القناع الاستعماري الضاري احرق قرى كاملة بكل ما فيها من آدميين احياء وقطعت اوصال الوطنيين الثوار وذبح مئات الآلاف منهم . اخترقنا احشاءهم بأطراف البنادق وعذبوا عذابا فريدا في بشاعته وضراوته لقد ارتكبنا كل ذلك في حق الشعب الجزائري المناضل من أجل حريته واستقلاله .. فهل من المستغرب بعدئذ ان يبدو خبر تعذيب الفتاة المذكورة بمثل هذه الوحشية التي تبعث الاشمئزاز .. هل من المستغرب بعد كل ذلك ان ننظر لهذا الخبر على انه خبر عادي جدا .. لاثير أي دهشة او استغراب ؟ !

ويلاحظ في تلك الاونة الاخيرة ان الصحافة العالمية قامت مرة واحدة واخذت تشير بأصبع الاتهام الى وجه فرنسا بسبب ماقترفه من اعمال شائنة وانتهاك لحرمة الانسانية في ارض الجزائر .

أخذت تفند دون هوادة أو رحمة ، ما اقترفناه من جرائم وحشية في حق الجزائريين بينت للعالم اجمع تفاصيل المجازر الهمجية التي تقوم بها فرنسا لابادة افراد الشعب الجزائري ووضعت للبشر العمليات الرهيبة التي تقوم بها فرنسا في الجزائر لاقتناص وقتل الأدميين الابرياء الذين لم يقترفوا سوى انهم قاموا بطالبون بحريتهم واستقلالهم وكرامتهم من أيدي المحتلين الغاصبين ..

امتلات صفحات الجرائد في كافة أنحاء العالم بصور بشعة تقشعر
لهول مرآها الأبدان . صور تم التقاطها « سرا بالطبع » في شوارع مدينة
«وهران» بالجزائر وفي باريس ، وعلى ضفاف نهر السين العظيم ،
صور لا تظهر فيها سوى الاشلاء الادمية الممزقة .. والاحشاء
المنزوعة والرقاب المعلقة في اعالي الاشجار والعيون الجاحظة بنظرات
مبتهلة مستنجدة .. والرءوس والاذرع والسيقان المعلقة لغرض معين
في اغصان الاشجار المتضومة بالخضرة والحياة .. والرءوس الادمية
المهشمة التي يخرج منها كل ما تحتويه من مخ ودماء فائرة .. وجثث
الجزائريين الابرياء التي تطفو دون هدف على سطح وفضاف نهر
السين العظيم .. الذي عاصر امجاد فرنسا المنادية بحرية الانسان
وكرامته .. والذي شاهد الكثير من احرار العالم وقادة الراي الثائر من
امثال مونسييكو وجان دارك روسو !!

هل يعقل بعد كل ذلك ان يهزمننا او يحرك خلجة من مشاعرنا هذا
الخبر العادي الذي يفيد ان رجالنا العسكريين قاموا بتعذيب فتاة
بريئة غضة حتى اوشكت على الموت ! .. هل يعقل ذلك ؟ .. طبعاً
لا .. لا .. لا ..

بل اننا سنقول نفس الذي قاله المسيو باتان رئيس لجنة الـ
Sacu re gardi في آخر اجتماع حضرته له : مادامت جميلة
بوابشاحية فلا شك ان ملاقته من تعذيب وآلام لم يكن شديدا
الى الدرجة اللازمة .. انها على اية حال لم تمت بسبب ما اجراه عليها
رجالنا الافذاذ من آخر وابشع مستحدثات التعذيب والضراوة ..

وفي هذا الكتاب تقوم الاستاذة المحامية القديرة « جيزل حاليمة »
بسرود وقائع واحداث قصة الفتاة المناضلة المجاهدة بكل ماتحتويه من
اهوال وبشاعة ومروق تام عن ايسر قواعد الانسانية والرحمة ..

وهي اذ تفعل ذلك لا ترمى مطلقا لمس قلوب من اقترفت ايديهم مثل
هذه الافعال الدنيئة المفضرة ، انها لا ترمى الى ذلك مطلقا ، وكيف تفعل
وهؤلاء المتهمون الذين ستخاطبهم مدام جيزل حاليمة .. قد نفذت من
قلوبهم كل آثار الرحمة والانسانية والعدالة و .. الحياة ؟!

ولكى نوضح هنا وبأدق التفاصيل مدى الحذر والمهارة العجيبة

التي يتمتع بها الفرنسيون في تليق الحقائق الواقعة وتغليفها بستر
كثيف من الخداع والغش والتضليل والادعاء انها تبين هنا مدى المواربة
التي نهج الفرنسيون على منوالها طيلة سبع سنوات كاملة .. اي طوال
المدة التي ساموا في خلالها الشعب الجزائري المناضل المكافح اعلى انواع

التعذيب والاضطهاد والتضليل والغبن عندما وقف يطالب بحريته واستقلاله ..

ان المؤلفة تحاول في كتابها هذا ان تبذل اقصى طاقتها وجهدها لكشف المستتر عما اقترفه الفرنسيون من جرائم مروعة في حق الجزائريين الاحرار ..

ان اهم ماثير دهشتنا ونحن نطالع معا مأساة جميلة بوباشا مع الفرنسيين ، ليس ما اوقع بها من وسائل تعذيب واعتداء بشع بل كشف النقاب عنها وفضحها ..

ثم هناك شيء أغرب من ذلك هو المحاولة الجريئة الباهرة التي تمت لكشف ما تسترت وراءه هذه الجرائم من خداع وكذب انها محاولة جريئة قامت بها محامية شابة عيدة . صارمة في شدة عنادها واصرارها على اظهارها الحقيقة وهي جيزل حاليى ! ..

كل هذه العوامل الحيوية الفعالة ساعدت الى ابعاد مدى على تبديد السحب القائمة التى حاول بها الفرنسيون اخفاء جريمتهم البشعة في حق جمينلة بوباشا ..

والتصريح الاخير الذى القاه الجنرال « الليريه » القائد الاعلى للقوات الفرنسية في الجزائر والذي عينه الرئيس ديغول هناك « قال هذا الجنرال : ان الجيش الفرنسى يهتم كثيرا الا يكشف القناع عن وجه الذين امروا باجراء عمليات التعذيب والاعتداء على المجاهدة الجزائرية جميلة

وهناك صور تتكرر كثيرا فيلقى القبض على اى جزائرى ويوسع ضربا وركلا وتعديبا .. ويسقط المواطن الجزائرى بين الحياة والموت وبه رمق ضئيل جدا من وميض الحياة وهنا اما ان يجهز عليه تماما .. او يترك ليموت فى بطن . او يرحمه الله فيتوصل الى طريقة ما للتخلص من كارثته وبذلك تختفى الجثة ومعها الجريمة .

وغالبا عندما يأتى احد اقرباء الضحية ليسال عنه يجاب بهذا الجواب التقليدى « مختف » ثم يطبق القموض والابهام الشديد بعد ذلك على كل شيء ..

واهم واقعة من هذه الوقائع هى حادثة الشاب الفرنسى الجامعى «أودن» كان هذا الشاب يؤمن بقضية الشعب الجزائرى المكافح ويشارك فى تضالته المستميت من أجل الحصول على استقلاله ثم .. اختفى ! .. وبعدها بدأت الهمسات تتناقل من فم الى آخر . وتعالى الهمسات حتى أصبحت كلمات .. وتضخمت الكلمات فغلت صيحات استنكار

واستبشاع وطبعني الا يكون هناك اى اثر او فائدة من وراء هذه الصيحات لانقاذ الشاب الفرنسي الحر من المصير الذى كان ينتظره على يد السفاحين . . وكل ما عرفه الناس بعد ذلك هو أن الضابط الذى قام بعملية تعذيب هذا الشاب قد أُنعم عليه بوسام الشرف تقديرا لتفوقه وجدارته فى عملية تعذيب هذا الشاب وقتله فى بطنه وتفنن عجيبين !! . .

كما ارتفعت كثير من أصوات الأحرار بعد أن عرف العالم التفاصيل المنكرة التى سبقت حادثة أنتحار المجاهد الجزائري «بومنجل» وكثير غير ذلك ذهبت هذه الصيحات اثره وتلك الاعترافات أدراج الرياح وكأنها لم تكن . .

وجهاز القضاء فى الجزائر يسير بطريقة فريدة من نوعها ، فيلاحظ عندما تعرض قضية أحد الوطنيين الجزائريين أن كل من يقف امامه من قضاة ومستشارين وأطباء ومحامين موقف العدو اللدود والحكم الموحد السارى على جميع الجزائريين الذين ترفع قضاياهم أمام محاكم الجزائر هو (الادانة) . .

فالحكم يصدر على المجنى عليه قبل أن يمثل أمام هيئة القضاة الفرنسية ! والمحاكمة ليست سوى محاكمات صورية لانقاذ المظاهر فقط . ثم أن أعجب ما يميز هذه المحاكم الغربية أن انقضاة والمدعين هم المجرمون . . وهؤلاء المجرمون هم الذين يقومون بأصدار الحكم « المبيت » على « المجنى عليه » . . أى الشخص الذى اقترفوا جرمهم فى حقه . . أى أن الجانى « هو الذى يقسم فى تلك الاحوال العجيبة بمحاكمه المجنى عليه . . انه لامر عجيب .

وقضية جميلة بوياسا تعتبر كتجسيم حى لمأساة القضاء الفرنسى فى الجزائر .

لقد وقفت جميلة بوباشا فى ساحة القضاء الفرنسى بالجزائر . وقفت فى قفص الاتهام، وجسمها مشخن بالحروق والكدمات والجراح وقفت بعد أن انتهك شرفها واعتدى عليها بأبشع وسيلة يتصورها انسان وقفت أمام هيئة القضاء الفرنسية وحلفت اليمين ثم قالت فى صـوت ثابت النبرات يشع بالايمان والصدق . « لقد عذبت » . وأطالب بأن أفحص طبيبا . . أما عن انقاضى الذى كان موكلا الية النظر فى هذه القضية . . هذا القاضى لم يكلف نفسه مشقة استجواب الفتاة البريئة المائلة أمامه . . لم يوجه لها أى سؤال . وكأنه وجد أن الامر لا يستدعى ذلك . . ثم دون الجملة التى قالتها جميلة فى محضر الجلسة . ثم أمر باستدعاء أحد الاطباء الاختصاصيين . فى عمليات تغطية موقف القضاة الفرنسيين عند نظر قضايا الجزائريين وطلب منه أن يقوم بفحص الفتاة جميلة . . .

وقال الطبيب وهو يدعى ليفى ! ليفى ليروى . . وبعد أن أمضى حوالى خمس دقائق فى فحص الفتاة قال :

انى قمت بفحص جميلة ولاحظت أنها تعاني من بعض الاضطرابات
التي لقيتها كل امرأة في فترات معينة من الشهر : ناتجة عن تركيبها
واستعدادها الجسمي . . .

وبعد بضعة شهور عندما عاودت جميلة وقوفها أمام انقضاء وطالبت
مرة أخرى بفحصها طبيا لاثبات ما لاقتنه من تعذيب . ثم فحصها بواسطة
هيئة مكونة من عدد كبير من الاطباء الباريسيين . واتفقوا جميعا بعد
فحصهم لها على أنها تعرضت فعلا لعملية اعتداء وحشي .

فان الطبيب الفرنسي ليفي لروي الذي يعمل لهيئة قضاة الجزائر
الفرنسية هذا الطبيب الذي سبق أن أصدر قراره المذكور سابقا ، اضطر
أن يلقي بتصريح جديد بعد أن خضع لتقرير الهيئة الطبية الكاملة التي
قامت بفحص جميلة .

لقد اضطر هذا الطبيب أن يصرح قائلا في ١٤ يونيو من ذلك العام
انه في خلال فحصه لجميلة بوباشا ثم يشأ أن يخشع حياءها ولذا
لم يفحصها بدقة . . .

ان التناقض بين اقواله لتناقض فاضح شديد التناقض ان دل
على شيء فهو لا يدل على انعدام شرف المهنة انعداما تاما وعلى انعدام
الضمير . .

ولكن هذا الطبيب لا يعتبر سوى جزء ضئيل من الجهاز الجبار
المجحف القائم في الجزائر وأهم مميزات هذا الجهاز القضائي الجبار
انعدام الضمير والاخلاقيات انعداما تاما . وهذا الطبيب تابع لهذا الجهاز
لا يقوم الا بالعمل الموكل اليه وهو اخفاء معالم الحقيقة وتشويه مظاهرها .
تغليب الحق بالباطل والكذب . . اهدار حق المظلوم وادانته زورا وجورا !
انه يقوم بمهنته . . يقوم بها كما يؤديها أى قائد أو قاض أو محام أو
طبيب فرنسي في الجزائر . . وما هو وجه الغرابة في ذلك ؟
هذا ، وقد أديننت جميلة واعتبرت مذنبه لماذا . . . ولاى تهمة
اقترفت . . . لا لشيء مطلقا وبدون أى دليل مادى يثبت ادانتها . ولكنها
لديننت بواسطة الاعترافات التي اخطروها بأن تقولها وهم يسومونها أنواع
التعذيب ويعتدون عليها أشنع الاعتداءات وأكثرها وحشية في سجن البيار
وسجن حسين داي .

انها قصة بل مأساة عادية جدا . . مأساة تتكرر مئات المرات كل
يوم في الجزائر . . ولم نعد نحن الفرنسيين نجد في هذه الامور شيئا
من الغرابة مطلقا . . ولكن . . .
ولكن ما هو أمر ما يحدث في أحد فصول هذه المأساة . ولوقفها عن
اتخاذ مجراها الطبيعي المعتاد .

ها هو حادث غير مرتقب قد طرأ على سيناريو المأساة الكلاسيكى . . !
انه خطاب بسيط مختصر أرسله شقيق جميلة المعتقل في معسكر «بوسيه»
أرسله الى المحامية جيزيل حاليمة . هذا مع اعتبار أن المحامين الذين
يذهب بهم الاقدام الى درجة أن يسافروا الى فرنسا للدفاع عن متهمين
جزائريين . . هؤلاء المحامون يعتبرون قلة نادرة الوجود .

وحتى لو فعلوا ذلك فانهم يقابلون في طريقهم شتى العراقيل والصعوبات والعوائق الممكنة حتى يجد من دفاعهم وتسلب من يدهم كافة الوسائل الممكنة لانقاذ موكلهم الجزائريين .. وهذا طبيعي أيضا .

ولكن جيزيل حاليى ..

هذه المحامية القديرة والانسانه الباسله استطاعت أن تخرج من هذا النظام الذى وضعته السلطات الفرنسية فى الجزائر من أجل محاسبة الجزائريين : لقد تقابلت مع جميلة .. عملت بكل جهدها على التقرب من مشاعرها وتفكيرها وقلبها .. انهبت روحها على المضى فى النضال لفضح الجرائم البشعة التى ارتكبت فى حقها .. جعلتها تكتب عريضة اتهام للمدعى العام فى الجزائر .. وقمت أنا بمساعدة جيزيل على ايقاظ الرأى العام واثارته ضد الجرائم البربرية التى يرتكبها بعض السنفاحين فى حق الانسانية جمعاء بصفه عامة .. وفى حق مجاهدى الجزائر بصفة خاصة .

وقمت بمساعدة جيزيل بتكوين لجنة خاصه لخدمة قضيه جميلة ونصرتها فى محنتها القاسية وقد سبب تكوين هذه اللجنة ضجه هائلة فى فرنسا كلها وببل فى كافة أنحاء العالم . لدرجة أن السلطات المختصة أصدرت أمرها للمحامية النزيهة «جيزيل حاليى» .. بعدم الاقتراب من أرض الجزائر .. ولكن المحكمة القائمة للتحقيق فى القضية .. وعلى الرغم من الأمر وضح كثيرا فقد خشيت هذه المحكمة أن تنفجر فضيحة قضائية أخرى من وراء ذلك لو انهبا آتمت محاكمة جميلة و .. ادانتها بدون حضور محاميتها ، فقررت تأجيل القضية .. للمرة الثانية ..

ولم يقف هؤلاء المختصون فى أفعالهم عند حد . فقد حاولوا بعد اعلان تأجيل القضية أن يقوموا بمساومة ما مع جميلة بوباشا . قالوا لها انهم سيعرضونها على طبيب نفسانى معين وسيقرر هذا الطبيب انها غير مسئولة عما تفعله وما تقوله .

ولكن جميلة رفضت ..

وقد تتساءلون بعد ذلك الا توجد اذن لجنة للمعونه ؟ نعم يوجد مثل هذه اللجنة فى الجزائر .. ولكنها مع الاسف لن تقوم بمعونة الجزائرية فى مقاومة جبروت وظلم السلطات الفرنسيه فى الجزائر بالعكس . انها تقوم بمعونة القتل على المقتولين .

سيمون دى بوفوار

خطاب من شقيق جميلة

كنت فى الرباط لاقوم بمهمة الدفاع عن بعض الجزائريين الاحرار من أعضاء جيش التحرير الوطنى . وهناك تلقيت هذا الخطاب من شخص يدعى جمال بوباشا .

الخطاب محرر بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٩٦٠ ويبدو أنه قد أمضى مرحلة سفر طويلة جدا ومر باجراءات متشعبة معقدة قبل أن يصل فى نهاية الامر الى يدى لان مرسله جمال بوباشا كان يقضى أيامه فى غياهب سجن أورانى .

واثر تسلمى خطاب شقيق جميلة ابرقت له فى الحال أى فى تاريخ ١٤ ابريل وحول الخطاب الى . وكان خطابى التلغرافى مدون بما يلى :

« جميلة بوباشا نزيله السجن المذنب بالجزائر . كلفت بالدفاع عنها . والرجاء اعلام القاضى المختص بذلك تمنياتى الطيبة . »

« المحامية جيزيل حاليه »

ويلاحظ أن شقيق جميلة فى خطابه الى لم يحدد لى نوع التهم الموجهة الى شقيقته جميلة ولكن يلاحظ أيضا أن هناك رقابة فرنسية صارمة تزاو على كل ما يتبادله الجزائريون من خطابات ورسائل مع العالم الخارجى . كما تجرى تعديلات واصلاحات واختصارات واسعة النطاق على معظم هذه الرسائل ! وطبيعى أن خطابات الجزائريين الى من يختارونهم من محامين للدفاع عنهم . . لا تستثنى من هذه القاعدة العامة .

وقد قال جمال بوباشا باختصار تام فى خطابه الى : « ولا أشك بآسيادة الاستاذة القديرة أن معونتك لشقيقتى فى محنتها ستأخذ بيدها وتشد من أزرها وخاصة انها تقف الآن وحيدة منفردة بدون سند أو يد حانية تشد أزرها وتخفف عليها عما تعانيه ، فأنا الآن معنقل وراء قضبان السجن . »

وأجبتة فوراً بموافقتى على الدفاع عن شقيقته جميلة . . .
وفى ٢٦ ابريل من نفس العام تلقيت أول خطاب من جميلة .

كتبت جميلة خطابها على احدى أوراق السجن الرسمية والتي تقدم خصيصا للمسجونين وفى هذا الخطاب وجهت الى جميلة جيزيل شكرها على اهتمامى بأمرها . وأخبرتني أيضا أن والديها قد اختارا كذلك محاميا فرنسيا مستوطنا غبرى ولكنهما غير مطمئنين لقدرته على الدفاع عن قضيتها . وفى نهاية خطابها طلبت جميلة منى أن اذهب لزيارتها فى السجن .

وأهم ملاحظة على خطابها انه مختصر مقتضب مجرد من اللـون والصفة الشخصية ولا تبدو خلاله سوى الصبغة الرسمية الجافة : قالت فيه : « أشكر كثيرا على القيام بمهمة الدفاع عني . ويسعدني أن أكون موكلتك » .

والغريب أن الخطاب لم يتضمن حرفا أو كلمة واحدة فيما يتعلق بوقائع القضية أو أحداثها أو حتى بتاريخها ..

وفي ٣ مايو أرسلت لي جميلة خطابا آخر ايمتاز عن أول خطاب لها بما يتضوع خلاله من الحرارة والاهتمام : « لا أعرف كيف أصور لك مدى فرحتي وسروري عندما قرأت خطابك الأخير الى « ها هي جميلة قد قامت بخطوة واسعة للاقترب مني .

وفي ٩ مايو وصلني اخطار رسمي من المحكمة الدائمة للقوات الفرنسية المسلحة بالجزائر بأن المدعوة جميلة بوباشا قد اختارتني للدفاع عنها . وجاء هذا الاخطار الرسمي .

« وستعقد أولى جلسات المحاكمة في ١٨ مايو سنة ١٩٦٠ في تمام الساعة الثامنة والنصف صباحا بالمحكمة العسكرية بعنوان « شارع كافنيك » .

وكان على أن أعود مرة ثانية للجزائر أي كان على مرة أخرى أن أخضع للأوامر الرسمية التي تصدر بين وقت وآخر من السلطات الفرنسية بخصوص سفر بعض المحامين المعينين أو عدم سفرهم ففي كثير من الاحيان كانت السلطات ترفض . بدون ابداء أي سبب للتسامح « لبعض » المحامين بولوج أبواب الجزائر .. ولم يكن هناك ما يدعو لتبرير مثل هذا الرفض . وفي بعض الاحيان كان يسمح لهم بالمرور الى أرض الجزائر بشرط الا يمضوا فيها وقتا طويلا . فلا تتعدى مدة بقائهم بها أكثر من يومين أو أربعة أيام على أكثر تقدير .. وفي هذه المرة وباعتباري واحدة من هؤلاء المحامين « المعينين » .. سمحت لي السلطات بقضاء ما لا يقل عن ٤٨ ساعة في أرض الجزائر ..

وفي قسم البوليس الخاص عندما وقفت استفسر عن سبب هذا التعنت والصرامة في تحديد مدة اقامتي في الجزائر لم يتفضل الضابط المختص سوى أن يرد على بهذه الجملة القنضبة :

« من ١٧ الى ١٩ مايو فقط .. كفى ! .. ثم قذف بجواز سفري على مكتبه عندما طلبت منه ان يزيد عدد الساعات المحددة لاقامتى هناك وفي نهاية الامر عندما نفذ صبره صاح منفعلا «

انها الاوامر .. ليس لدى ما أقوله لك .. وليس لدى وقت اضيعه !! ..

وبمثل هذه الطريقة المتناهية الرقة افهمنى ان الوقت المحدد لاقابلتى قد انتهى ..

ما العمل اذن ؟ ما العمل وهذا الوقت المحدد لن يسمح لي الا
بحوالي ثلاث ساعات للاطلاع على نواحي القضية وبحث ملفاتها والمناقشة
مع موكلتي جميلة ؟ !! ...

فالاجراءات التي تتم في مطار الجزائر تتطلب وقتا طويلا فهي
تتضمن اجراء تأشيرة المرور وتأشيرة مزاولة المهنة في الارض الجزائرية
وتأشيرة المرور من الجزائر الى السجن المدني الذي تقيم فيه جميلة .
ثم تأشيرات دخول السجن والخروج منه .. و .. الخ .

اي ان اليوم با كمله سيضيع في هذه الاجراءات المتشعبة الواسعة
للمدني المرهقة .

ومما يبعث على العجب ايضا ان هناك قانونا عجيبا تتبعه المحاكم
هناك فيما يختص باطلاع المحامين على ما يتضمنه اعلانات الجلسة
المتعددة . هذا القانون يبعث على الضحك والتأمل حقا . فهو يقول
حرفيا ان الملف المحتوي على اعلانات الجلسة يظل تحت تصرف المحامين
طوال ساعات النهار .. باستثناء اليوم السابق لانعقاد الجلسة ! .

.. اي باستثناء اليوم والفرصة الوحيدة السابقة على انعقاد الجلسة
والذي استطيع خلالها الاطلاع على تفصيلات هذه القضية .

وكل ما فهمته من خلال ملاقيته من تصرفات مجحفة وصرامة في
تحديد مدة اقامتي في الجزائر ان السلطات الفرنسية تبذل كل جهدها
لتعوقني عن دراسة ملفات القضية دراسة جادة كاملة عن التمكن
من تحضير مستفيض جيد من اجلها .

ومع ذلك صممت على القيام بهذه المهمة واصررت على السفر الى
الجزائر وهناك قد اتمكن من تأجيل نظر القضية حتى استفيد بمض
الوقت للدراسة واعداد الدفاع الواجب . ولكن موضوع تأجيل نظر
القضية هذا يعتبر في عرف المحاكم العسكرية في الجزائر على درجة
هائلة من الصعوبة والاستحالة انه لا يقل استحالة عن حكم البراءة او عن
طلب محامي المتهمين الحصول على مزيد من المعلومات !! ..

.. هذه هي الافكار التي كانت تملأ راسي وانا جالسة بمقعدى في
الطائرة الملاحقة في طريقها الى الجزائر . انه يوم ١٧ مايو وفي الساعة
نواحدة من بعد ظهر ذلك اليوم هبطت الطائرة في مطار الجزائر .

وفور قدومي الى هناك وجدت في مقابلي احد زملائي المحامين
ولا داعي للذكر اسمه وهو نفس المحامي الذي سبق ان اختارته والسدة
جميلة للدفاع عن ابنها ثم اضطرت الى العدول عن ذلك .

وعلى طول الطريق الموصل من المطار الى المدينة كنت اشاهد اللافئات

الكبيرة التي كتب عليها في تائق وعناية مثل هذه العبارات :» لقد هزم المتمردون « أو الجزائر فرنسية « أو .. أو .. الخ وعندما بدأت اشكو زميلي المحامي مدى الصعوبة التي لاقيتها في طلب مد اقامتى بالجزائر اجابنى في ابتسامة غامضة .

— ماعليك .. ماعليك .. ان الموضوع بسيط جدا .. ان جميلة منهممة بوضع قبيلة في أحد المقاهى التي يرتادها الفرنسيون .. وفي هذا الكفاية فسألته :

— وهل اعترفت بانها مدنية ؟

— لقد اعترفت فعلا ! .. ولن يتطلب منك الامر سوى دفاع لمدة عشر دقائق .. على اكثر تقدير ..

وبدا لى ان طريقته في توضيح الامور لى لا يمكن ان توصف الا بانها صاروخية السرعة !

« والملفات ؟ .. ماذا نحتوى بخلاف الاعتراف ؟

— لا شيء ثلاث محاضر .. هذا كل ماتحتويه .. سترين بنفسك .. نظرة خاطفة وكلمتان وتنتهين من هذه القضية » .

ولم ازد في حديثى معه شيئا ..

وحالما وصلت الى فندق « الايطاى » الذى اقامت فيه خلال هذه الفترة العابرة القيت حقائبى في احدى اركان الحجرة وخرجت بسرعة الى المحكمة ..

وهناك اخذت اتصفح ملف القضية . ان زميلى المحامى كان بدون شك على حق :

لقد اعترفت جميلة بفعالها اعترافا كاملا واضحا ..

فقد وضعت هذه الفتاة الجزائرية التي تبلغ الثانية والعشرين من عمرها قبيلة في أحد المقاهى الفرنسية . ولم تنفجر القبيلة . وتم القبض على الفتاة الجزائرية ولم تحدث اية خسائر في الارواح أو في شيء آخر . وقد حدث هذا في ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٥٩ .

وفي ١١ مارس بقسم البوليس ثم فى ١٥ مارس سنة ١٩٦٠ امام القاضى وقفت جميلة تشرح فى اسهاب وتفصيل كيف ولماذا وان اقترفت جريمتها ..

وبدأت اتصور خلال قراءتى لحضر قضية موكلتى ان عملية الجريمة

تبدو اسهل بكثير وابسط من مهمة تحقيقها ونظرها التي تمت في ١٥ مارس سنة ١٩٦٠ .

ويبدو ان يوم ١٥ مارس هذا كان مليئا مفعما بالاحداث !! .. فقد قام قاضى التحقيقات بتقرير التهمة الموجهة للمذنبه .. وايضا تم الكشف عليها طبيا .. وفيه اصدر الطبيب ليفى لروى قراره الاعرج الكاذب .. وفيه قدمت التهمة شكواها بانها لاقت اشجع انواع التعذيب والتنكيل اثناء عملية التحقيق معها ..

وفي ذيل اخر الصفحات العقيمة الاربع التي يتكون منها ملف القضية والتي لا تحتوى الا على اعترافات المتهمه كتبت جميلة هذه الجميلة القصيرة : « اننى اطالب بفحصى طبيا فقد لاقيت كثيرا من التعذيب الجدى » ..

كم اود ان اراها الان هذه الساذجة الغافلة

ووقفت فى الفناء المخصص للسيدات فى السجن المدنى وبدأت اتخيل شكل موكلتى وهيئتها من خلال الصور المعتمة الداكنة التى وجدتها فى ملف القضية فبدت لى من خلال الصورة : فتاة فى ربيع العمر .. سمراء البشرة .. مستديرة الوجه لها عيون باردة غسيرة معبرة ..

وبينما كنت غارقة فى التفكير كنت الملح جموع الجزائريات النزيلات بهذا السجن وهن يلوحن لى من خلال نوافذ حجراتهن الضيقة ويبعثن لى بقبلاتهن على اطراف اصابعهن .

وهنا فوجئت بظهور المشرقة عليهن ، وكان وجهها متجهما كئيبا . وقالت فى خشونة عجيبة سيادة الاستاذة ليس لك الحق فى الجلوس فى الفناء هل تسمحين بمغادرته ؟ ثم اضافت منندرة الجماعات الصغيرة من السيدات الجزائريات اللاتي كن ينظرن الى نظرات كلها صداقة وود . ويهمس بالاقتراب منى لتحيتى :
هيه !! .. حلرا انتن هناك ؟

واستدرت قليلا الى اليسار فوجدتها بجانبى . جميلة بوباشا !
... كانت تقف فى خجل وتردد خلف السجانة الغليظة الطباع الفظة الالفاظ فاقتربت منها محيية .

— جميلة بوباشا .. ؟ انا جيزيل حاليلى محاميتك .
ها هى امامى اذن .. هاهى صاحبة الكتابة الرزينة الحكيمة المتضوعة وطنية وبسالة

وشعرها خالك السواد كموجات من بحر أسود .. عيونها حوراء
ملينة بالتعبير هيئتها وإيماءاتها وعباراتها تنم عن خلق وتربية قوية
وقالت لى جميلة .

انى مسرورة جدا بقدومك .

وعندما قدمت لها سيجارة لتدخنها اعتذرت بإيماءة خفيفة من رأسها
وبدت أسألها عن أحوالها فى السجن وعن أحوال أسرتها ..

وكانت اجابتها مختصرة مقنضبة تفقد اثر الحيوية والحرارة
وبدا لى انها مضطرة الى ذلك : . والا فانها فى حالة التحدث معى فى
صراحة كاملة فانها كانت ستلقى كثيرا من ضروب العقاب القاسية
فى السجن الذى كانت تقيم فيه . ففى مثل هذه الأحوال اى عندما
تنتاب السجينة نوبة من نوبات الصراحة مع محاميتها كانت تحرم من
مغادرة حجرتها ..

وتحرم من الطعام لفترة لا بد ان تتراوح مع درجة الصراحة التى
تكلمت بها مع محاميتها !! ..

وفى اثناء حديثنا قالت لى جميلة ان احد « الاخوان » الاحرار تم
اعدامه فى صباح هذا اليوم وأضافت قائلة :

— لم يعد .. بل قتل « بيد القتلة » . وفى هذه الأحوال نقوم
نحن جميعا رجالا ونساء بمصاحبة اخينا الشهيد حتى اخر لحظة من
لحظات وجوده .. اننا نمضى الساعات الطوال مرتلين الآيات القرآنية
والاناشيد الوطنية .. اننا لانتركه يموت وحيدا .. بل نسير معه
خطوة خطوة حتى القبر .. نسير معه بقلوبنا .. بمشاعرنا .. بنبضات
صدورنا بخلجات حياتنا ..

وبدأت لاحظ لأول مرة خلال حديثنا ان صوت جميلة بدأ يضطرم
بل ويشتمل حماسة وحيوية . كان صوتها يتهدج بالانفعال وهى تجيبنى
عندما سألتها عن سبب الكدمة السوداء التى تغطى معظم ساقها :

— هل تعرفين .. اننى عضو جبهة التحرير الوطنى واعتبر
روحى وحياتى فداء لتحرير وطنى .. اننى اقدم كل قطرة من دمائى
وكل دقة من قلبى تضحية وقربانا من اجل قضية بلادى ..

وبدا لى ان الفتاة ذات الملامح الهادئة تحولت وهى تتحدث الى
نقطة تنمر بالصراحة والتحفز :

— نعم .. نعم اود ان تعرفى ذلك ..

ووجدت أن اللحظة مناسبة لى أسألها عن موضوع القبيلة التى

القتها واستفسر منها عن الطريقة التي دافعت بها عن نفسها ...
فسألتها :

هل اعترفت ؟

فاجابت :

— نعم ! نعم اعترفت .. اعترفت بكل شيء ..

ثم ساد الصمت بيننا ..

وفجأة رايت عيني جميلة السوداوين تالقتا ببريق خاطف وهاج
.. ثم قالت لى بصوت متهدج يفيض تأثراً وانفعالا ..

لقد تالمت .. تالمت وتعدبت .. كثيرا .. كثيراً وبأفزع ممسا
لتصورين ... انظري جانبي كم كنت اتالم — لقد شاهدتني امي حينئذ
.. ولم اكن استطيع السير الا محنية القامة .. بسبب ما كنت اعانيه
من آلام مبرحة في جسمي ..

ثم اضافت في عبارات دامعة :

— اما عن الضرب واللكمات !! فقد سلطوا على ابى تيارا كهربائيا
.. وكانوا يقولون له وهو يتخبط لاهثا بين ايديهم القاتلة :

« لارحمة للعرب » .

« انهم قتلة وسفاكو دماء ، انهم وحوش ضارية .. وفي سجن
حسين داي .. كانوا يصبقون على وجهي بعد ان تنهكهم عمليات
تعذيبى المتواصلة .. كنت ملقاة تحت اقدامهم القذرة وانا مجردة
تماما من الثياب مشخنة بالجروح والكدمات مضرجة بالدماء .. كانوا
يصبقون في وجهي الخمر والنبي يجرعونها .. اما الاسلاك الكهربائية
فكانوا يلصقونها على جسمي العاري .. هل تعرفين كيف يكون ذلك
.. بواسطة قطع المشمع .. كانوا يلصقون اطراف هذه الاسلاك على
اطراف يدي .. وعلى .. وعلى .. اوه !

لا .. لا .. لا .. استطيع ان ابوح به .. كانوا يلصقون هذه الاسلاك
الكهربائية على كل مكان — من جسمي ثم يسلطون عليها التيار الكهربائي
.. ثم يقولون والآن ستعرفين طعم المرحلة الثانية وتقدرين مداها ..

وفجأة امتقع لونها وبدأ وجهها يحاكي وجوه الموتى في جموده
وشحوبه المخيف وهى تلوذ بالصمت وخلال حديثها لم تحاول ان انطق
بكلمة واحدة وبالرغم من انها كانت تشعر بضرورة الاقاضة عن كل
شيء فقد صمتت وامتنعت تماما عن الكلام .. ولم أجروا انا على

انطق بكلمة واحدة .. وماذا كان عساى ان اقول امام هذه
البشاعة المجسمة ١٨

وأخذت أكتب بعض المذكرات وبدأت هي تميل على أوراقى فى نظرة
ساهمة . ولم أستطع أن أملك نفسى وما يختلج فيها من مشاعر العطف
والحنان على هذه البائسة .. فملت نحوها وقبلتها على احدى وجنتيها .
ولم تتحرك جميلة .. ووقع منى قلم الحبر .. فانحنيت وأحضرتة لى وهى
تتمتم بسرعة :
- أوه ... معدرة .

فأمسكت بيدها مع القلم بين يدى وقلت لها .
- جميلة .. صرحت لى بكل شيء .. كل شيء .. تستطيعين أن تفعل
ذلك .. اننى لم أحضر هنا الا من أجلك .. أنت .
وبدا عليها أنها تمايلت نفسها قليلا وأجابتنى .

لقد أرسلت للحكومة خطابا أطلب فيه أن يتم فحصى طبيا .. ولكنك
تفهمين .. لماذا طلبت أن تكون المحامية امرأة .. كنت سأعجل تمامعن
سرد الاشياء على مسامع رجل .. هل تفهمين ما أعنى ؟ .. لقد قلت فى
خطابى لندوب الحكومة « أود أن يجرى على فحص طبي » ويبدو أن جميلة
بدأت تتبين فجأة عواقب اعترافاتها المسهبة التى دونت فى محضر القضية
فسألتنى :

- هل تعتقدين اننى أخطأت ؟ .. أكان يجب على أن أستشيرك قبل
أن أعترف .. ولكن لم يكن من المستطاع أن أكتب لك بكل ذلك ..
ومضيت أكتب .. وأكتب طوال ساعتين كاملتين وأنا أستمع لاجابات
جميلة على أسئلتى .

وفى خلال ذلك طلبت منها أن تفك أزرار قميصها الابيض الذى كانت
ترتديه وعندما فعلت وجدت صدرها وتدييها مغطيان بعدد لا يحصى من
البقع الصفراء المستديرة .. وكأنها حبات عنب داكنة ..

كان السفاكون يضغطون عليها بصورة وحشية أعقاب سجائرهم
المشتعلة !

ولاحظت أن « القتلة كانوا يوجهون اهتماما أكثر الى جزء معين » من
أجزاء جسمها الحساسة .. فعلى هذا الجزء لاحظت أو وصمات الحروق
كانت تبدو شديدة العمق كبيرة الاتساع .. فلا بد انهم كانوا يضغطون
بأصرار وقوة بسجائرهم المشتعلة فى هذا المكان بالذات !

وانكبت على الاوراق أدون بها ما أراه وما أسمعه . كنت أشعر
بالشورة والغضب فى دمائى .. وأصابعى .. وفى الكلمات المضطربة
الثائرة التى أخطها على الورق .. كنت أخاف من اقتراف مجرد هفوة
صغيرة فى تعيين عدد الحروق والجروح التى تغطى بهما جسم الفتاة
المسكينة الجالسة بجوارى .. وكذلك كنت أخشى الخطأ فى ذكر اسم
السجن الذى لاقت به هذا العذاب .. واسم المشرف عليه .. وفترة

الاعتقال فى السجن . كنت أخشى من انقوع فى أى خطأ بخصوص مثل هذه النقط . فالوقائع هى فرصتنا الوحيدة فى مثل هذه القضية . . . وشيئا فشيئا . . . وخطوة خطوة بدأت أتبين معالم الطريق أمامى . . . فى وضوح تام تكشف لى الحقيقة البشعة المذهلة التى تنطوى عليها هذه القضية العجيبة .

لا ليس الامر عاديا . ليس عاديا مثلما قال لى زميلى عندما استقبلنى فى المطار . . .

وهنا شعرت بدماء الثورة والتقرز وتصطبغ فى راسى بشاعة الجريمة التى بدت لى معالمها عارمة واضحة . . .

انها جريمة . . . بشعة . . . مروعة !؟

انها كغيرها من الجرائم السابقة جريمة على درجة فائقة من البشاعة . جريمة لا تغتفر . . . وفى هذه اللحظة صممت على أن أحيط قضاة فرنسا بهذه الجريمة المنكرة . . . بل صممت على أن أذيعها فى فرنسا كلها . . . بل انعام كله . . . وهذا لازم وضرورى جدا لصالح موكلتى البريئة الباسلة . . . لصالح الجزائريين اجمعين . . . لصالحنا نحن الفرنسيين كلنا وبدون استثناء بما فينا من قتله سفاحين ، وجبناء يذلهم الخوف . بل وجدت أن أسرد وقائع هذه الجريمة قد ينقذ البقية الباقية . . . من الشرف الفرنسى .

وتماسكت على نفسى واستجمعت قواى لانطق بالكلمات المحشجة فى حلقى .

سنجرد المجرمين . . . سنقدم ضدهم شكوى . . . سنضطربهم لبدء تحقيق جديد . . . ولكن علينا أن نقذف باتهامنا فى وجوههم .

وهنا أمسكت بجميله بيدي بين راحتيها ووضعتها على ضلوعها وهى تقول :

— أنظرى . . . تحسسى . . . انها لا تظهر من خلال القميص الفضفاض الذى أرتديه الآن . . . ولكنى لن أستطيع فى يوم من الايام أن أرتدى « بلوزة » صوفية أو بلوفر اضيقا « حتى لا يظهر للناس ما أصبت به من تشويه فى جسمى » . . .

وتحسست بأصابعى مكان ضلوعها . . . واصطدمت يدي بكتلة كبيرة من اللحم المتضخم فى الجهة اليسرى من صدر الفتاة الجزائرية . . . تحت الشدى الايسر تماما . . . حيث كانت تتلقى الضربات والركلات القاتلة من ضربات الجند الثقيلة . . . فوق قلبها . . . وهى ملقاة عارية فاقدة الوعى تحت أقدامهم . . .

« وقالت جميلة :

« انه قائد فرنسى . . . الذى فعل بى ذلك . . . لقد سألتنى عما اذا كنت آسفة على مساعدتى للاخوان الاحرار وتعاونى معهم . . . فنظرت اليه فى

حدقة عينيه الغائرتين وقلت نه اننى . . . لست آسفة على أى شىء . . .
وهنا أمسكنى من ضفیرتى . . هكذا (وأمسكت جميلة بصفیرتها الطويلة
وأخذت تشنى طياتها على قبضتها) ثم أخذ يوجه الى اللكمات فى صدرى . .
ويقذف بى بعنف وقوة على الحائط . . وشعرت بضسلوعى تتحطم تحت
قبضته الحديدية . . ورقبتى تلتوى . . والارض تميد بى . . ثم غبت عن
وعیى . . . »

وبدأت حركاتها تقل . وأخذ صوتها يصطبغ بالصبغة الباردة الساكنة
التى لاحظتها عليها عند بدء مقابلتى لها .

— وأفقت بعد فترة . . . فوجدت نفسى ملقاة على الارض على ظهرى
وهو يضربنى بكعب حدائه الثقيل ضربات مريعة فوق صدرى . . هنا ناحية
القلب . . ناحية هذا التشويه الذى أصابنى بسبب هذه الركلات المبرحة
الآلم . . .

وسألتها :

— متى تم القبض عليك يا جميلة ؟

— فى مساء يوم ١٠ فبراير . .

وأخذت أفكر متعجبة : هل أخطأت جميلة فى ذكر تاريخ اليوم الذى
تم فيه القبض عليها ؟! فها أنا ذا أطالع فى المحضر الموجود أمامى
أن تاريخ مثولها أمام القضاء كان ١٥ مارس فقلت لها :

— لعلك تعنين ١٠ مارس ؟

ولكنها أجابت فى اصرار وثبات :

— لا . بل ١٠ فبراير فى المساء . . وقد أمضوا فترة طويلة فى
تعذيبى قبل تقديمى الى قضاتهم . . وكم قاسيت وتعذبت خلال هذه
الفترة . . .

وانتهيت من تدوين كل ما ذكرته لى جميلة وكل ما شاهدته على
جسمها من آثار التعذيب . ووقفت أمامها عاجزة عن النطق . . عجزت
تماما عن أن أعبر لها عن مدى الاشمئزاز والتقزز والخجل التى تعتمل
فى نفسى بسبب ما أقترف فى حقها من اثم .

وكل ما استطعت أن أقوله لها بعد فترة طويلة من الصمت وهى
تحكم رداءها حول رقبتها :

— جميلة عندى فى حفيبتى قطعة « حلوى » صغيرة . . . هل
تأخذينها ؟ . . . أرجوك .

ورفضت جميلة لانها كانت صائمة ويبدو أن جميع نزلاء هذا السجن
السياسيين يصومون اليوم الذى يتم فيه اعدام أحد اخوانهم .

واقتربت من جميلة . . وحضنتها بين ذراعى وأنا أقبلها على جبينها
قائلة :

— الى اللقاء يا جميلة .. سأحضر مبكرة لكى تضعى امضاءك على
الشكوى التى سأعدها هذا المساء .

وأومأت لى برأسها فى صمت وابتعدت عني ... وعندما أطبقت يد
السجانة على يدها واصطحببتها ورائها ايدانا بانتهاء مقابلتنا ... التفتت
جميله نحوى وهى تصيح من بعيد :

— هذا رائع الآن ... الى الغد اذن ...

وفى حجرتى بالفندق بدأت أدون أغرب وأبشع مذكرة عن التعذيب
والارهاب الذى أوقع بفتاة بريئة غضة لم تجن ذنبا سوى انها تحب وطنها
... الجزائر الحرة .

التعذيب

فى مساء يوم ١١ فبراير عام ١٩٦٠ اقتحمت قوات الامن منزل عائلة بوباشا .

وقد تم هذا الهجوم على منزل عائلة بوباشا بعد أن قامت بسلسلة من الاستفسارات والتحري عن مكان المجاهدين الوطنيين « مراد » و « جمال » اللذين فُرا من قوات الامن داخل أحراش الجزائر واحتُميا بداخلها . وكان الجنود الفرنسيون عند هجومهم على منزل أسرة بوباشا يعتقدون أن مراد وجمال يختفيان لديهما .

وبعد أن اقتحموا وحطموا باب المنزل أخذوا يوقظون أفراد الاسرة بركلهم الباب بأحذيتهم الغليظة وضربهم بطرف بنادقهم .

وعبد العزيز بوباشا هو رب هذه الاسرة . ويبلغ الثانية والسبعين من عمره ولكنه يتمتع بقوام فارع وجسم قوى .

وزوجته هي زبيدة عمرشى التى تبلغ من العمر ٥٨ عاما . والابنتان جميلة التى لم تتعد الثانية والعشرين من ربيع عمرها ونفيسة التى تبلغ ٢١ عاما . وكذلك عبد الحميد أحمد الذى يبلغ عمره واحدا وثلاثين عاما وهو زوج نفيسة ويعيش مع أسرة زوجته ثم طفلين صغيرين ابنى نفيسة وعبد الحميد .

وهجم الجنود بضراوة ووحشية على أفراد هذه الاسرة . وأخذوا يلقون بهم من مخادعهم بقسوة وفظاظة بالغة . . .

وأخذ الجنود ينهالون بأقبح الشتائم وأحط العبارات على جميلة ويوسعونها لظما على وجهها ولكما فى صدرها ووجهها . . . وكذلك أنهالوا بالضرب الموجه على أبيها الشيخ العجوز وراحوا يدوسون عليه بأقدامهم أمام أفراد أسرته وكانت الأم تنتحب فى ألم وحرارة موجعة . . . والاطفال يصرخون هلعا من هول المنظر الملىء بالتنكيل الرهيب والقسوة الهمجية التى تقع أمام أعينهم .

ولوحظ أن الضابط « د » . . هو الذى أخذ على عاتقه مهمة «الاهتمام بمصير » جميلة . . . فهو الذى بدأ أثر اقتحام منزل أسرته بالانهيال عليها وعلى أبيها ضربا وركلا قاتلا . .

وبينما كان الضابط « د » وبعض الجنود منهمكين فى اداء هذا العمل الوحشى نحو أفراد الاسرة كانت طائفة أخرى من الجنود تبحث وتنقب فى كافة أرجاء المنزل . وأسفر هذا البحث عن العثور على خطابين أحدهما موجه من المجاهد الجزائري السيد باكتي والآخر موجه من المجاهد جمال كما عثر الجنود على عدة أفلام فوتوغرافية .

ووجد الجنود في هذين الخطابين وتلك الافلام غنيمة كبرى يستعينون بها في ادانة افراد الاسرة عند تقديمهم الى القضاء. ولكنهم وجدوا ايضا خلال بحثهم المستفيض غنيمة أخرى أكثر فائدة لهم . . . وجدوا مبلغ ٣٤٠٠٠ فرنك وساعه ذهبية ! ولم يتوانوا عن وضع أيديهم على هذا المال الذي كانت الاسرة الجزائرية المتوسطة تعتمد عليه اعتمادا كبيرا في عيشها . . .

وبعد أن تأكد الجنود من أنهم حصلوا على كل ثمين ونفيس من ممتلكات الاسرة وان أفرادها يتلوون شبه صرعى تحت أقدامهم من بشاعة الضرب الذي أنزل بهم ، بعد ذلك أخذوا ينهالون على جدران البيت وأثاثه ويعملون فيه تحطيمًا وتكسيرا ثم جاء دور ما يحتويه المنزل من غذاء . . فانقض عليه الجنود يلتهمون في بدائية منكزة حتى أتوا عليه تماما . . وعندما عثروا على ما تختزنه الاسرة من كميات كبيرة من الغلال والمواد الغذائية أخذوا يلقونها من النافذة ويدوسونها بأقدامهم حتى لا تغدو صالحة مطلقا لأي استعمال . .

. . . فبمثل هذه الطريقة تتم عمليات التفتيش على بيوت الجزائريين الاحرار . . المجاهدين .

ومكث الجنود في منزل بوباشا حتى الساعة التاسعة من صباح اليوم امتالي بالرغم من أنهم كانوا قد بعثوا بجميلة وأبيها وزوج أختها الى السجن في سيارات جيب سريعة منذ حوالى الحادية عشرة مساء .

وبدا أول يوم لجميلة بين جدران سجن « البيار » .

وحينما وصلت جميلة الى هذا السجن بدأ الضابط « و » يتولاها برعايته الخاصة . . . أخذ ينهال عليها بفيض من الاسئلة المتلاحقة لكي يتعرف منها على مكان المجاهدين الجزائريين مراد وجمال .

وقالت جميلة انها لا تعرف عن مكانهما أى شىء مطلقا . . . وبالتالي أخذت اللكمات واللطمات الحادة تنهال عليها دون هوادة أو رحمة ، بل لم يتوان جلادها من الامساك برأسها بين يديه ودقه في الحائط بشدة وعنف . . . ليستعيد بعد ذلك سيل اللكمات والضربات الموجهة على وجهها . .

وبعد هذه المرحلة من برنامج التعذيب أخذت جميلة الى مكان عبيد الحميد زوج أختها في الطابق العلوى من مبنى البوليس حيث كان يسلط على جسده تيارات كهربائية طوال ثلاث ساعات متوالية .

واعترفت جميلة انها كانت تشاهد بعض الاخوان المجاهدين وهم يزورون منزل أسرتها ولكنها لا تعرف مطلقا المكان الذى تعلم فيه هؤلاء المجاهدون الجزائريون وأصيب الضابط خلال هذه الفترة بتعب وارهاق شديدين بسبب المجهود البالغ الذى بذله في تعذيب وضرب جميلة . .

وفى نهاية هذه الاعمال الوحشية ارتمت جميلة فاقدة الوعي من قسوة ما لقيته من تعذيب وآلام فألقى بها الجنود في احدى الحجرات

الصغيرة المظلمة والتي تخلو تماما من أى منفذ للهواء ... وألقوا بها على أرض الغرفة انعاريه بكل رطوبتها وظلمتها .

وبعد مضي ساعتين ...

فتح باب الحجرة «...» لقد عاد الجنود لاحضار جميلة الى الضابط، بعد أن زالت عنه آثار التعب شعر باستعداد لمعاودة عملية استجواب الفتاة المجاهدة ...

ومرة أخرى وهى فى حالة يرثى لها من الانهيار والضعف والاعياء أخذت جميلة تتلقى سيلا آخر جارفا من اللكمات والضربات واللطمات على جزء من جسمها ودقت رأسها فى الحائط أكثر من مرة حتى كادت أن تتحطم ... وسالت منها الدماء .. وطرحت على الأرض فاقدة وعيها تماما . فنقلت ثانية الى زنزانتها .

وفى اليوم التالى عاود الضابط مع الفتاة المسكينه نفس العملية أو زاد عليها كثيرا من التفنن والابتكار فى توجيه الضربات واللطمات على وجهها وجسمها .. ومع ذلك ..

كانت جميله تجاهر فى كل مرة من هذه العمليات الوحشية بأنها تنتمى الى جبهة التحرير الوطنية الجزائرية وانها شديدة الفخر بذلك . بل أنها صرحت فى زهو وفخر أنها كانت تقدم خدمات كثيرة للمجاهدين جمال ومراد . وزودتهم أكثر من مرة بالادوية وكثير من الاحتياجات المادية الأخرى .

وفى اليوم الثالث ...

أحضرت جميلة فى صباح هذا اليوم من زنزانتها الى حجرة التعذيب مرة أخرى وطلب منها أن تقدم أسفها على ما كانت تقوم به من أعمال لصالح وطنها .. فرفضت فى أباء وشمم .. وانهاالت بذلك عيها ضربات ولكمات أكثر وأفظع ايلاما من ذى قبل .. وأخذ صوت ارتطام رأسها بالحائط يدوى فى أرجاء الحجرة الرهيبة .. وغطت الدماء الحارة المنسابة من جبينها جميع أجزاء وجهها ... وكال لها أحدهم ضربة رهيبة فى صدرها .. فترنحت الفتاة الضعيفة وانهارت مرتطمه بأرض الحجرة .. ولكن نفس الجندى الذى وجه اليها هذه الضربة القاضية اندفع نحوها يدوس على صدرها بنعل حذائه ويضغط فوقها بكل قواه! . وعندما أوشكت أن تلفظ أنفاسها توقف الجلادون عن ركلها وضربها . وقد أثبت الفحص الطبى أن جميلة أصيبت من جراء ذلك بعدة كسور متعددة فى الضلوع وأنها ستظل تعاني من آلامها طول حياتها ..

وعندما فقدت جميلة وعيها تماما ووجد الجلادون أنها لن تشعر بضرباتهم وركلاتهم نقلوها الى زنزانتها .

واتبعت نفس الوسائل البربريه مع نفيسة شقيقة جميلة فقد أتوا بها هى أيضا فى صبيحة ١٣ فبراير الى سجن البياز الذى يضم أختها جميلة .

ويبدو ان الجلادين كانوا يتمتعون بقدر لا بأس به من الانسانية .
فقبل أن يسوموا الفتاتين بالسلتين أشنع أنواع التعذيب .. سمحوا
لهما بأن يتقابلا معا في حجرة منفردة .

ولكن نفيسة كانت قد اكتشفت تحت سريرها جهاز التسجيل قبل
حضور جميلة بعدة ساعات وارتمت كل منهما في أحضان الأخرى
واستسلمتا للبكاء ولم تنطقا بكلمة واحدة طول لقائهما ..

وجاء دور مواجهه جميلة بوالدها .. أحضروها اليه في نفس الحجرة
التي يتم فيها التعذيب ! ..

أدخلوها عليه أثناء اجراء عملياتهم البشعة الرهيبة .. فوجدت جميلة
أباهم مقيدا بواسطة حبال غليظة الى لوح كبير من الخشب مثبت على
الجائط وهو عار تماما من الثياب .. سمعتهم يسألونه في تهكم وهوفي
وضعه هذا اذا كانت أسنانه صناعيه وعندما أوما بالإيجاب قالوا له في
تهكم انهم يودون اذن تخليصه منها .. وبعد ذلك بدأت عملية التعذيب
تتخذ مجراها الطبيعى المعتاد وذلك بتسليط أنبوبة حديدية للمياه المثلجة
على كافة أجزاء جسمه .. ثم دفع هذه الأنبوبة بما ينساب منها من مياه
داخل فمه .. وأذنيه .. ثم يقوم أحدهم بالقفز فوق بطنه المنتفخة
بالمياه ! فيندفع الماء خارجا من كل جزء من أجزاء جسمه ...

وهنا يقول لهم عبد العزيز بوباشا في حشرجه بائسه :

— الرحمة ! .. شيئا من الرحمة ..

فيجيبه أحدهم في حنق وغضب :

— لا رحمة للعرب ...

والآن جاء دور « الماشة » فبهذا الاسم الدارج يسمى الجزائريون
هذه الآلة الجهنمية التي يستعين بها السفاحون لتعذيب ضحاياهم .
انها مصممة على هيئة حرف (ف) ويتصل كل من طرفيها العلويين
بأسلاك كهربائية يسرى بها التيار الكهربائي ... ثم يمرر الطرف السفلى
على كافة أجزاء جسم الضحية بحيث تكون اللمسات متقطعة سريعة ! ..
وتحت لمسات هذه الآلة الشيطانية الرهيبة تظل الضحية تنتفض
انتفاضات متلاحقة من أثر التيار السارى فى جسمها ! .. ولا يختلف
منظر الضحية وقتئذ عن منظر السمكة وهي تطهى فى مقلاة الزيت المغلى
... وفوقها الماشة تتحرك .

فتنطلق الصرخات المؤلمة من فم والد جميلة لاسترحام قلب جلاديه
القساة .. فيردون عليه بالضرب على رأسه بواسطة عصا غليظة ..
لاسكاته تماما .. وتسكت الضحية فعلا .. بعد أن غابت عن رشدها
وأوشكت أن تلفظ البقية الباقية من أنفاسها اللاهثة .

ويلقى بعبد العزيز فى أحد الأركان لمدة قصيرة .. ثم يعيدون
إيقاظه وتفويقه عنوة بواسطة أحذيتهم الثقيلة التى يركلون بها وجهه

ورأسه . ثم ينقل من غرفة التعذيب الى زنزانتة كما تنقل أى كتله من اللحم الآدمى الممزق المحطم . .

... وأجبروا جميلة على حضور هذه العملية البشعة التى أجريت لأبيها . . وكانت هذه أبشع وأشنع عملية تعذيب مرت جميلة بها ! . . . وفى الزنزانة ألقى عبد العزيز فى أحد الاركان المظلمة تحت نافذة حقيرة فى قاعدتها كلب صغير . وثبت عبد العزيز فى وضع تحت النافذة بحيث يكون وجهه تجاهها وهو راقد على ظهره و . . . بحيث لا يجسد الكلب الصغير الموجود فوق النافذة مكانا آخر لقضاء حاجته الطبيعية (التبول والتبرز) . . سوى وجه عبد العزيز !

وجاء اليوم الثالث ! . .

وفى هذا اليوم اقتيد عبد العزيز الى حجرة كبيرة أخرى لعمليات التعذيب حيث ووجه بابنته جميلة وبزوج ابنته الاخرى عبد الحميد وأمام . . . ثم أمر عبد الحميد أحمد بخلع كل ملابسه ! . .

وأمام الرجلين المكبلين بالحديد أخذ الجنود يوسعون الفتاة ضربا ور كلا واعتداء . .

واقيد عبد العزيز الى زنزانتة التى تبعد عن غرفة التعذيب بحوالى ثلاثة أو أربعة أمتار . ومن مكانه كان يسمع صرخات الألم التى كان يطلقها زوج ابنته دون توقف .

وبعد وقت قصير حضر أحد الاطباء الى غرفه عبد العزيز . وحققه ببعض العقاقير . وسأله الطبيب عن مبعث هذه الصرخات المتعالية حتى زنزانتة فأخبره عبد العزيز بأن الجنود يقومون بتعذيب زوج ابنته . ولم يسمع الطبيب الشاب سوى أن يحنى رأسه ويخرج دون أن ينبس بكلمة من غرفة السجين العجوز (١) .

وفى مساء هذا اليوم أحضر السجناء بعض الغذاء للسجين العجوز عبد العزيز بوباشا ولكنه رفض أن يتناوله معلنا اضرابه احتجاجا على عمليات التعذيب الرهيبة . . .

وفى اليوم التالى عندما عاود الضابط «و» استجواب جميلة بخصوص أبيها قالت انه كان يعيش منذ فترة بعيدة ببلدة تاجرين بعيدا عن « . . . إبراهيم » حيث يقيم جميع أفراد العائلة ، ولم يكن يعلم مطلقا بحضور جمال ومراد الى المنزل .

وهنا شيع الجنود السجين العجوز الى زنزانتة بقدر متوافر من اللكمات والركلات ومنذ هذه اللحظة توقفوا عن ضربه واستجوابه .

ولكن عبد العزيز بوباشا أصر بالرغم من ذلك على اضرابه عن تناول الطعام .

وفى يومى ٢٢ و ٢٣ فبراير حضر طبيب آخر للكشف عليه ولحقنه

(١) عندما أعيد التحقيق فى نوفمبر عام ١٩٦١ وسأل الطبيب الشاب عن صحة هذه الاقوال اجاب بالإيجاب .

بعض المواد الغذائية ولكن المناضل العجوز استطاع أن ينتزع الابرّة من يد الطبيب ويمنعه من حقنه قائلاً :

— لا لزوم لذلك مطلقاً . . لا فائدة من محاولة ترميمي بعد الانتهاء من تحطيم جسمي . . وفي ٢٤ فبراير زادت حاله عبد العزيز بوباشا خطورة عما كانت عليه من قبل فقد أصر اصراراً قاطعاً على عدم تناول أى طعام .

وهنا قرر سفاحوه أن ينقلوه الى « مستشفى مايو » حيث يتم علاجه .
وحيث مكث حتى ٨ مارس .

وفي مستشفى مايو قام طبيبان شابان بالاسراف على علاجه بعد أن وعداه بكتابة تقرير كامل عن كل ما لاقاه من صنوف التعذيب بشرط أن يتناول ما يقدمانه له من غذاء ودواء وقبل عبد العزيز بوباشا عرضهم بعد اضراب كامل عن الغذاء وكان ذلك في ٢٦ فبراير عام ١٩٦٢ بعد اضراب عن الطعام طوله خمسة عشر يوماً . . .

وأخذ الطبيبان الشابان يدونان مشاهداتهما وملاحظاتهما عما يعانيه مريضهم وقد لوحظ أن عملية التعذيب بواسطة المياه قد بلغت آخر مراحل خطورتها وأثرت تأثيراً سيئاً على سمعه وكانت أجزاء جسمه مغطاة بالكدمات والقروح والجروح المتعفنة . ولا يستطيع تحمل أى اسة بسيطة على رأسه لكثرة ما بها من رضوض وجروح .

وفي ٨ مارس نقل عبد العزيز ثانية الى سجن البيار ومكث هناك حوالي أربعة أيام دون أن يقى عليه أى سؤال أو استجواب .

أما عن عبد الحميد فقد مرض أيضاً نتيجة للوسائل التعذيبية البشعة التي مر بها عبد العزيز بوباشا بل أن الجلادين ميزوه عنه بمزيد من التفنن والقسوة فيما أنزلوه به من عذاب مقيم .

كان أحدهم يقوم بتمرير الماشة الكهربائية على جسمه العاري المبلل خصيصاً بالمياه وآخر يقوم بتحريك الدينامو التي تثبت أطراف سلوكها حول أذنيه . . .

وفي معظم الاحيان كانت شرزمه المحققين لا يقل عددها عن سبعة أفراد كما انهم كانوا يبذلون نشاطاً وهمة مرموقة في تجهيز الضحية الموجودة بين برائتهم فيها هو أحدهم يقوم بدفع أنبوبة المياه داخل حلق عبد الحميد والثاني يسارع بسكب محتويات علبة كبيرة من مسحوق الاومو داخل فمه والثالث يتبعه بسكب محتويات علبة كبيرة أخرى من الملح وآخر يقوم بالقفز في قوة فوق بطن السجين المنتفخة انتفاخاً شديداً لكي يندفع الماء في قوة خارجاً من فمه وأذنيه وغيره يقوم بين حين وآخر بلطم عبد الحميد بين لحظة وأخرى لطمات رهيبه على صدغيه .

وخلال ثمانية أيام متتالية كان عبد الحميد يقضى في حالة التعذيب هذه حوالي ٥ أو ٦ ساعات متواصلة .

أما جميلة فقد ووجهت مرة ثانية برجل وامرأة لا تعرفهما من قبل

فقد أحضروا هذين الشخصين الى زنزانتها مع الضابط «و» وبدأ
يتصفحان وجهها وجسمها فى امعان شديد ثم غادرا الحجرة بعد أن
أشارا للضابط قائلين باختصار لا .

الرجل يدعى سلطانى عمار والمرأة اسمها مازيجه أنجيلا هو يعمل
جرسونا بالمقهى الفرنسى الذى ألقيت فيه القنبلة وهى تعمل عاملة كيس
فى نفس المقهى ولم يتعرفا على جميلة بالرغم من أنهما قد أدليا بنفس
أوصافها فى شهادتهما الاولى ! .

فقد سبق فى يوم ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٥٩ أى فى اليوم الذى وضعت
فيه القنبلة فى المقهى الفرنسى أن قال هذان الشاهدان إنهما لاحظا فتاة
شابة تفر هاربة من المقهى بعد أن وضعت القنبلة . ولكنهما عندما شاهدا
جميلة فى زنزانتها فى يوم ٢٦ فبراير قالافى ثبات « ليست هى جميلة »
فى يوم ١٧ فبراير حضر ضابطان من البوليس الفرنسى الى زنزانة
جميلة . وأستطيع أن أذكر هنا الحرف الاول من اسميهما « ت » و « ج »
واصطحبا جميلة الى سجن « حسين دادى » .

وفى مساء نفس هذا اليوم اقتيدت الى بهو كبير فى الدور اسفلى من
مبنى السجن . ولاحظت جميلة وسط البهو وجود كرسى كبير ومائل
بدرجة كبيرة الى الخلف كالمقاعد التى يستعين بها أطباء الاسنان عند
الكشف على مرضاهم . ولكن هذا المقعد الكبير كان يمتساز بمسنديه
العريضين ووجود أحزمة من الجلد انغليظ المثبت بكافة أجزائه ! .

وكان المفتشان « » و « ج » حاضرين ساعتئذ ومعهما ضابط آخر
أبيض البشرة منتفخ الوداج .

وأعيد استجوابها وأعادت جميلة قولها بأنها لا تعرف مطلقا
المكان الذى يقيم فيه المجاهد جمال . وهنا طلب منها واحد من الضباط
الآخرين الحاضرين أن تخلع كل ملابسها ولكنها رفضت .

فانقضا عليها انقضاى الوحوش وأخذوا يمزقان ما يغطى جسمها من
ملابس حتى غدت عارية تماما من أى غطاء .

وأخذوا يجرانها بقوة ضارية نحو المقعد الكبير الموجود فى وسط
الحجرة واستطاعا بالرغم من مقاومتها الباسلة أن يقيداها فى هذا
المقعد . ثم كما فمها بقطعة من القماش .

وعلى مائدة قريبة كانت تبدو الآلة المعدة للاستعمال . .

وقد وصفتها جميلة بعد ذلك بقولها : انها آلة صغيرة طولها حوالى
عشرين سنتيمترا وعرضها ٢٠ سم ومزودة بعجلة صغيرة تتشعب منها
أسلاك كهربائية عديدة . .

وبعد أن قيذا الفتاة وهى عارية تماما بالمقعد الكبير أخذ الجلادون
يتناولون بشأنها ملاحظات دنيئة نابية ويرشقونها بنظرات فاضحة مبتذلة .
وهم يتجرعون زجاجات من البيرة ويبصقون ببعضها على وجهها وجسمها

دغدا جسمها ووجهها كله مبتلا بالبيرة . . .

وهنا أخذوا يبذلون كل جهدهم لكي يلفوا الاسلاك الكهربائية الطويلة حول كل واحد من تدييها . ولكن لم يتمكنوا فقد كانت الاسلاك تنزلق على جسد الفتاة المبتل .

ولم يجدوا وسيلة سوى أن يثبتوا الاسلاك بلصقها بالشمع .

وبدأ أحدهم يدير الآلة في ببطء تارة وبسرعه مذهلة تارة أخرى . .
وبالتالي كانت الفتاة البائسة تنتفض تارة انتفاضات متفاوتة وتارة أخرى انتفاضات سريعة محمومة ! . أي حسب سرعة التيار الكهربائي الذي كان يسرى في جسمها العارى . .

وفي كل مرة كان السفاحون يودون الحصول من جميله على جواب لاسئلتهم كانوا يحلون قطعة القماش مربوط على فمها ثم يعيدونها ثانية وخلف كتفى الفتاة المجاهدة ، وقف أحدهم يدخل سيجارته في هدوء وتلدذعجيب ويبين لحظة وأخرى كان هذا المدخن يضغط بالطرف المشتعل من سيجارته على صدرها وعلى كتفيها . . وحالما انتهت السيجارة تماما أطفأها بضغطه طويلة عميقة على مؤخرة جسم السجينة الشابة !
وقد رأيت بعيني كل آثار الحروق البشعة التي شوهت بشرة الفتاة الجزائرية الباسلة عندما حضرت لمقابلتها لأول مرة في سجن الجزائر . بتاريخ ٧ مايو من نفس ذلك العام .

ترى كم استمر هذا العذاب المقيم !

قالت جميله لى : لقد قيل لى ان لا نهايه لما عانتها حينئذ من آلام مريعة كان الجلادون يبدون صبرا ومثابرة عجيبة فى تعذيبى بهذه الكيفية المروعة .

وكان غرضهم من استمرار ذلك أن أبوح لهم بالمكان الذى يختبئ فيه (اخوانى) . .

وفي اليوم التالى حضر الجنود واقتادوها من زنزانتها حيث كررت عليها العملية الكهربائية مرة أخرى . ولكن كان هناك فرق بين فى الطريقة الفنية التى أنزل فيها العذاب بجميله فى هذه المرة : فاستبدل بالاسلاك الكهربائية المثبتة على أجزاء الجسم استبدل بها « الماشة » الكهربائية التى كانوا يمررونها دون توقف على وجه الفتاة الجزائرية ! . .

وبعد حوالى ثلاثة أيام من حضور جميله فى سجن حسين داي . ومعاناتها أمثال هذه الآلام المبرحة فوجئت بالجلادين يوقظونها فى منتصف الليل ويقولون لها :

— ستشاهدين الآن نوعا جديدا مبتكرا من الوسائل التى قد تساعدك على الاعتراف بما نريد !

واقطعت جميله من حجرتها الى فناء واسع فى قلب السجن وكان يحيط بها عشرة من الضباط العسكريين .

وبدأ الرجال العشرة ينهالون على الفتاة الواقعة بين برائتهم ، ضربا وركلا ولطما ويلقون بها على الارض ويدوسونها بالاقدام كلما حاولت الوقوف على قدميها .

ثم اقتادوها الى زنزانة جديدة غير تلك التي كانت تقيم بها . . وأهم ما كانت تحتويه هذه الزنزانة الجديدة . : « بانيو » كبير ومنضدة .

وأحكم وثاق جميلة احكاما شديدا من اليدين والقدمين . ثم أولجت عصا طويلة غليظة كعصا الكنيسة بين كل من يديها وقدميها المكبلتين . ثم وضعت العصا الغليظة بحيث يرتكز كل من طرفيها على طرف البانيو . وبحيث تكون جميلة معلقة كما يعلق حيوانات العيد ! . .

وكانت عارية تماما . . .

وابتدأت عملية الاغراق التدريجية فى البانيو الممتلئ بالماء لحافته . وبدأت جميلة تشعر بالغرق .

واقترب أحدهم منها وضغط بقبضتيه على ركبتيها فارتفع رأسها من الماء . . فاندفع آخر نحوها ولطمها على صدغيها لطمات شديدة أسالت الدماء منهما . . وهكذا . .

كانوا يريدون منها أن تعترف بإمكان اخوانها المجاهدين . وكانوا يلومونها أيضا ويعاقبونها لاعتقادهم انها قتلت كثيرا من الاطفال والنساء . وبوضعها القنابل فى المقاهى الفرنسية ! . . .

واعترفت جميلة . .

اعترفت انها وضعت قنبلة فى مقهى كوك هاردى وفى غيرها من الاماكن العامة التى يرتادها الفرنسيون وفى كل مكان آخر ! . . .

وهنا استشاط الضباط القائمون بعملية تعذيبها غضبا وحنقا .

الويل لها هذه انجسورة الجريئة !

لقد انقضوا عليها انقضاض الصاعقة وألقوا بها فوق الارض . وطوقوا وسطها بحزام جلدى غليظ .

ولم يقيدوا ساقها وأمسك الضابطان كل منهما باحدى ساقها . وأخذا يبعدان فيما بينهما حتى آخر مدى . . ثم . . !

وقالت لى جميلة مشيرة الى ذلك :

— كانوا يودون ارغامى على الاعتراف بأننى وضعت قنبلة بسجن الجزائر .

وفى سجن حسين داي كانت جميلة تقيم فى زنزانه مشتركة مع سجيننة جزائرية أخرى هى ، زينب لاروسى .

وقد قصت زينب على أفراد عائلة جميلة وأقربائها ومعارفها

والجزائريات المقيّمات معها بنفس السجن قصت عليهم عند خروجها ما حكته لها جميلة من تفاصيل تعذيبها . .

وعندما شعر الجلادون بأن جميلة فقدت وعيها تماما وانها بالتالى لن تشعر بما يوقعونه بها من تعذيب أمرّوا بنقلها الى زنزانتها . . .

وفى الزنزانه ألقى بها أحد الجلادين على الارض وهى فاقدة الوعي مضرجه فى الدماء التى أخذت تسيل منها بغزارة . . . وقال لزينب فى صوت متهمكم « ها هو خروف العيد » .

واستمرت جميلة طيلة ساعات طويلة دون وعى .

وبعد مضى عدة ساعات حضر بعض الممرضين وحققوها ببعض ادواء

وعلى الرغم من أن مظاهر العطف الفائق والاشفاق والحب الشديد كانت تبدو فى نظرات زينب لاروسى لجميلة فان جميلة لم تحدثها عن أى شىء لاقتته وكانت زينب تؤكد لجميلة انها متهمه سياسيه مثلها .

وفى أحد الايام جاء أحد الحراس وقال لها ان أخاها ينتظرها فى ردهة السجن ويود مقابلتها . وخرجت زينب من زنزانه لترجع سريعا وتقول لجميلة :

جميلة اكتبى لى عنوان مراد وجمال وسأعطيها لآخى . فهو حصيف وماهر جدا . ويستطيع أن يخبرهما بكل ما حدث ويحدث لك . ويحذرهما من الخطر المحدق بهما . ويقول لهما أن يغيرا المكان الذى يقيمان به حاليا .

وهنا تستطيعين أن تتكلمى وتعترفى بكل شىء . ويوقفوا عنك عمليات التعذيب هنا . . .

« لشد ما أنا متألّة لحالتك ! . . . لقد مكثت فاقدة الرشيد طيلة ثلاثة أيام كاملة . . انك فتاة بأسلة حقا ! . . وكم أنا معجبة بك

« ولشد ما حزنت عندما رأيته وأنت مضرجه فى دمائك عندما ألقيوا بك هنا منذ يومين . . .

« وعلى العموم فليس هناك أى خطر محقق بالاخوان » لان أخى سينذرهم ويجعلهم يغيرون مخابئهم . . .

وأصرت جميلة على صمتها . . كانت تشتم شيئا غير عادى فى كلام زينب لها .

وبعد وقت قصير عندما نقلت جميلة الى سجن « باربوروس » علمت ان زينب ليست سوى جاسوسة وضعتها الفرنسيون خصيصا فى زنزانتها للحصول على ما يرغبونه من معلومات . . .

ومع ذلك فان زينب هى التى أخبرت الكثير من الجزائريات النزليات بسجن « باربوروس » بما لاقتته وتحملته جميلة من عذاب مبرح واعتداء

وحشى بشع أخبرتهم بذلك قبل أن تحضر جميلة الى هذا السجن بأيام
قليلة . . . وحيث سبقتها زينب اليه .
وفى ذات يوم فوجئت جميلة بقدوم نزيلة جديدة فى زنانتها بسجن
باربوروس . كان اسمها فيفى قحام . ولم تطمئن جميلة لهذه الفتاة
واتبعت الحيلة والحذر فى حريتها معها .
اكتفت بأن تحكى لزميلتها الجديدة بأنها عذبت عذابا أليما ومكنت
ثلاثة أيام دون وعى (١)

ونقلت جميلة بعد ذلك أى فى ٢٤ فبراير الى سجن «البيار» واخذ
أحد الاطباء يقوم على علاجها ويقدم لها انواعا شتى من الادوية والعقاقير
وهنا بدأ الضابط يغير من تصرفاته حيال جميلة . . . بدأ يقوم
حيالها بمرحلة التأثيرات النفسية . وقابلت جميلة التأثيرات النفسية
هذه فى برود ولا مبالاة لم يكن صمودها لمؤثراتهم السييكولوجية ليقل
عن صمودها فى وجه مؤثراتهم الارهابية

. . . بدأ الضابط « و » يصطحب جميلة للتنزه وفى احدى المرات
قدم لها أحد الاشخاص المدنيين قائلا انه يود محادثتها فى أمر خاص .
وبدأ هذا الشخص يحاول افهامها خلسه انه مهتم بموضوعها ويطلب منها
أن تتحلى بشيء من الصبر حتى يحين الاوان . . . وأن تحدثه عن كل ما
يعتلمل فى نفسها . . . وأن تحضر للتحديث معه بين وقت وآخر الى أن ينم
الافراج عنها « كانوا باختصار يحاولون استمالتها وضمها الى صفوفهم
. . . واخضاعها للعمل معهم ضد مواطنيها !

وكان ردها لهم : مزيدا من الازدراء والاحتقار التام . .
وفى اليوم الثانى من اقامتها بسجن البيار تقابلت جميلة مع أبيها
وحاولت بقدر استطاعتها أن تنفى عنه بكل ما ألصق به من تهم . .
كما تقابلت أيضا مرة أخرى مع عبد الحميد زوج شقيقتها وأخبرته
بما عانتها من تعذيب .

واستمرت جميلة تعاني من أوجاع دائمة شديدة فى رأسها كانت
تضطرها الى الانحناء دائما أثناء سيرها .

وحاولت مرارا أن تقيم من عودها عن مقابلتها السريعة لأمها وأختها
نفيسة فى السجن . . . ولكنها لم تستطع مطلقا . . . لم تستطع سوى أن
تجهش بالبكاء المرير وهى تحتضنها فى حزن بالغ . .

لقد أمضت جميلة ما لا يقل عن خمسة وثلاثين يوما فى معاناة أكثر
صنوف العذاب والاعتداء شرا تحت أيدي جلاديتها . . . أمضت هذه الفترة
الطويلة دون أن يتمكن انسان من انتشالها وانقاذها من أيدي جلاديتها
السفاحين . . . ودون أن يتمكن أحد من سماع صراخها واستغااثتها .

ولذا اضطرت أن تضع امضاءها على كل ما قدموه لها من اعترافات
. . . ملفقة !

(١) فى ١٢ يوليو سنة ١٩٦٠ استعيت فيفى قحام للشهادة
أمام المحكمة العليا . اكدت نفس أقوال جميلة وزادت على ذلك أنها
رأت خلال اقامتها معها كثيرا من الكدمات السوداء والحروق على
جسم جميلة

« في هذا البلد الذي نملكه »

لقد قمت بحكاية هذا الكلام الذي قرأتموه في الصفحات السابقة
على مسامع المسيو شميلك المدعى العام بالجزائر في اليوم التالي
لوصولي اليها .

وكان يبدو عليه التأثير البالغ انشاء استماعه الى .
وكنت أشحذ كل قوى وابذل غاية طاقتي للحصول على تأجيل
قضية موكلتي .

وفي نفس الوقت كنت أزمع تقديم اشكال للشكوى من حبسها
وتعذيبها ..

وكنت مصممة كذلك عند رجوعي الى باريس على ان افصح معالم
هذه الجريمة الشائنة التي ارتكبت في حق الفتاة الجزائرية جميلة
بوياشا .

وكان على اذن ان اقوم خلال الجلسة الاولى بشرح ملاقته الجزائرية
الباسلة ٣٥ يوما .. في ساعتين اثنتين لاغير . ولم تكن المهمة من السهولة
بشيء .. ومضيت اقص على مسامع المدعى العام تفاصيل المأساة
البشعة التي عانتها الجزائرية المكافحة وكان هو يستمع الى ومظاهر
الغضب والحنق المكبوت تبدو على معالم وجهه .
وعندما بدأت ابين له تفاصيل البرنامج الذي أزمع تنفيذه في عملية
الدفاع في قضية جميلة قال لي شميلك :

« نعم امضي في اتخاذ كافة الاجراءات القانونية قدمي شكواك ..
لامانع من ذلك ابدا وساعاونك اذا اعترض طريقك اى عائق . وانما
اعيدك بذلك . ولكن .. »

ثم اقترب سيادته مني قائلا في أسف :

— مدام حاليمة .. اكتبى ما اقله لك .. لاتستعيني الا بالوسائل
« القانونية » .. القانونية فقط .

وأخذت انظر اليه مستغربة من قوله هذا قائلة له :

— القانونية ... فقط ؟ ..

— نعم ..

وفي الواقع انه كان يتخير كلماته في تادب ورقة لكي يفهمنى ما
يعنيه دون أن يصدمنى :

— نعم ياسيدتى يجب الا يستفحل الامر وتوسع دائرة الفضيحة
ومدها حتى آذان الصحافة المرفهة المتحفزة للانقضاض .. ثم اضاف
مبتسما .

« انكم معشر المحامين تميلون كثيرا للسلاح الصحفي وتجذون
فيه سندا عظيما لخدمة قضاياكم هكذا انتم معشر المحامين الباريسيين
.. واطن ان هذه الوسيلة ياسيدتى لاتأتى دائما بما يرجى من ورائها
من ثمار دانية مرتقبة » .

واعتقد أنه كان على حق في كلامه هذا . فهذه الوسيلة نميل اليها
فعلا نحن في باريس كانت لاتجدى نفعا عندما تكون الفرصة قد مرت

ولكن في قضية جميلة وغيرها من المجاهدين الابطال الابرياء ..
لم يكن الوقت قد فات بعد وستكون هناك نتائج قيمة من ورائها

وكان الامر يتطلب ان اجاهر صائحة بتفاصيل ما اصابها من جرائم
بشعة .. كان على ان استعين بالكتابة والصحافة والقول والقضاء
.. وبكل شيء لكسب هذه القضية .. قضية جميلة بوباشا وغيرها
من الاف الجزائريين الاحرار .

والتفت نحو المدعى العام قائلة :

— لم يحدث أبدا ياسيدى أن قام المختصون بنشر تفاصيل كاسل
لهذه الوسائل البربرية الاجرامية .. على الراى العام .. ليبسدى
رأيه فيها ؟ .. عسى أن تتوصل اذن الى نشرها على الراى العام ..
ونظر الى المدعى العام وهو يهز رأسه في حيرة :

حسنا . قدمى شكواك . وسنرى .. ثم اضاف :

لاتعتقدى ان الامور تسير في الجزائر بالصورة التى قد تتبادر
الى ذهنك ..

وعندما هممت بمغادرة مكتبه سالنى قائلا :

— وماذا عن القنبلة ؟ .. هل قامت بوضعها فعلا ؟ ..

فاجبت:

— لااعرف .. لست متأكدة . فهذا امر لايهمنى كثيرا . فسواء
كانت جميلة مذنبه ام بريئة فهى ليست سوى مواطنة جزائرية .. وعلى
ان ادافع عنها بكل طاقتى فى أى حال من الاحوال ..

فاجابنى المدعى العام قائلا :

— انه لبشع رهيب فعلا ذلك الارهاب الذى يتسبب فى ضحايا ابرياء .

فاجبته باختصار .

— نعم ...

ولكن اهم ماكان يرهبني فى هذه القضية هو الحرب الاجرامية .. حرب الفرور والمصالح الدنيئة الحرب المستعرة التى لابد ان يشنها على خصومى ساعتئذ .

وبما ان السيد المدعى العام كان يبدى اهتماما كبيرا بهرفة ما اذا كانت جميلة قد اقترفت أم لم تقترف فعلة وضع القبلة بالمقهى واننى لم اتردد فى ان اشرح له الوسيلة الغريبة فى نوعها التى اتبعها احد القضاة فى الجزائر لافادته علما بموضوع قضية جميلة بوباشا قلت حينئذ :

لقد تم اعداد ملف القضية كله « وطبخ » فى مدى يوم واحد لاغير هو ١٥ مارس عام ١٩٦٠ والعجيب ان هذه القضية التى بدأ لى بحثها فى سرعة الصاروخ نفسه .. هذه القضية المذهلة كانت تتضمن النواحي الاتية :

١ — محضر ثبت انه عثر لدى جميلة على مستندات ادانة مادية

٢ — محضر للاستجواب فى القضية الابتدائية للمتهمة جميلة بوباشا . وهو يتكون من اربع صفحات كتبت بطريقة النسخ .

٣ — محضر بأمر القبض على جميلة .

٤ — محضر لنقلها من « جريماتها » بالمقهى الفرنسى « وهو يتكون من صفحتين مكتوبتين بالنسخ به بعض الرسومات الموضحة »

٥ — قرار رسمى من القاضى لتعيين طبيب لفحص المتهمة جميلة عندما أعلنت انها لاقت تعديبا شديدا والطبيب هو الدكتور ليفى لورى) .

— محضر قام فيه الطبيب الذى تولى فحصها اى الدكتور ليفى لورى بحلف اليمين المقدس عن صحة ونزاهة شهادته « وتبين بعد ذلك انه كاذب كذبا ضخما » .

٧ — قرار بالافراج عن جميلة بوباشا من « سجن الجزائر » ونقلها الى مقر المحكمة العليا « لاتمام فحصها » .

٨ - نتيجة فحص الطبيب ليفى لورى لجميلة .

٩ - قرار قيام الدكتور ليفى لورى بفحص جميلة .

تقد جمع القاضى الذى قام بالتحقيق مع جميلة فى اول مرة كل هذه «المستندات» فى مدة لاتزيد عن أربع وعشرين ساعة فقط استطاعوا فيها أن يطوقوا عنق الفتاة بالتهمة الملفة . . وان يحطموا جسمها بوسائل تعذيبها . . وأن يفحصوها طبيا . . ويقرروا ما بها ويقدموها للمحكمة ! . . لقد استطاعوا أن يفعلوا كل ذلك فى يوم واحد !! . .
ياالعجب . .

فمثل هذه الوسائل الشيطانية اضطرت جميلة ان تقرر باعترافها تحت الضغط والارهاب المدمر التى كانت تئن تحته .

وبدأ واضحا تاكد مسيو شميك المدعى العام ان كل هذه الدلائل والمستندات الرسمية قد تم فبركتها . . واعدادها فى سرعة ومهارة اجرامية شيطانية !!.

ولكنه اراد ان يتأكد من فكرة لا بد كانت تشغل ذهنه . . فسألنى

- هل كان القاضى من العسكريين ؟
فاجبته :

- لا . . بل مدنيا : انه السيد رئيس القضاة الابتدائيين .

ولم يسمعه سوى ان يتمتم فى أسف :

- منيوز بيرار . .

ويبدو ان مسيو بيرار هذا كان مستعجلا للغاية لكى يسلم جميلة الى ايدى القضاة العسكريين ، لدرجة انه نسى ان يضم الى اوراق الملف المد اعدادا خاصا « تقريراً على درجة فائقة من الخطورة والأهمية فيبدو ان سيادته تناسى ان يامر بالقيام بالتحري عن اخلاق ومبادئ جميلة بوباشا .

وقبل ان اقوم من مقعدى بينت للمدعى العام رغبتى فى تاجيل انقضيه .

واكدت له اننى سامتنع عن الدفاع فى حالة رفض طلبى . وفى هذه الحالة لابد ان يقوم اشكال غير هين .

ورقف المدعى العام يحيينى وهو يقول فى شئ من الحرارة
أتمنى لك حظا سعيدا ياسيدتى . .

وبينما أنا اهبط سلم المحكمة العليا الضخم الفائق الفخامة والابهة
مقابلت مع كثير من زملائي المحامين الذين يعرفوننى حق المعرفة ...
والذين اشاحوا بوجوههم بعيداً عنى وقعت انظارهم على ! . كنت اقوم
بالدفاع عن فتاة جزائرية مجاهدة . !

ولم تعترنى اية دهشة لمثل هذا الموقف ..

وفى ذلك اليوم كنت قد اعطيت موعدا لوالدة جميلة وشقيقتها
نفسية للحضور لزيارتي بالفندق الذى اقيم فيه ، وعندما حضرت اتوجهت
بهما الى غرفتي حيث جلسنا بمفردنا نحن الثلاثة .. ولكنى فوجئت
بأحد المشرفين يدق باب حجرتى اثر دخولنا فيها ويقول لى . « هذا
ممنوع ياسيدتى » ..

ونزلنا نحن الثلاثة معا الى الحديقة الواسعة المحيطة بالفندق
حيث جلسنا معا فى مكان منعزل .. وهنا اخذت والدة جميلة تحتضنى
فى حرارة وتوسل يائس وهى تقول لى بلغتها العربية .

— انها مثل اختك تماما .. يجب ان تنقلها لى باى حال من
يراثنهم .. ان الله لقدير وسيعينك ان شاء الله فى مهمتك ..

وكم احببت هذه السيدة العجوز ذات الوجه الابيض المستدير
والفم الرفيع الخالى من الاسنان ؟! .. كم احببتها لطبتها وحرارة
حديثها الطبيعى الخالى من اى تصنع ، وكلماتها المتألقة حرارة وطيبة
محبة — كم احببت فيها هذا التلهف المجنون لانقاذ فتاتها جميلة !!
.. وكم احببت تلك الدموع المقدسة التى كانت تنساب رقراقة
على وجنتيها المكتنزتين . !!

لم تكن مدام بوباشا تتكلم الفرنسية وكانت مفاهيمها بسيطة
واضحة : فالعدالة الالهية ترتبط ارتباطا وثيقا بالامل فى تحرير
وطنها ...

وبدأت والدة جميلة تسرد على مسامعى فى دقة متناهية اسماء
المواطنين الجزائريين الذين تم القبض عليهم ... واخذت ترد فى مهارة
وحذق فائق على كل ما اوجهه اليها من أسئلة وتحكى لى ادق تفاصيل
السلب والنهب والتدمير والتعذيب التى يقوم بها الفرنسيون

ولذلك ايضا تبين لى الفرق الشاسع بين فرنسيى فرنسا الذين
حاربوا الجستابو فى بسالة وشجاعة خلال الحرب العالمية الاخرة وبين
فرنسيى الجزائر الذين يتصفون باحظ انواع البربرية والحقارة
قالت لى :

انهم يريدون ان يسلبوا منا كل شيء .. الممتلكات .. الارض ..
الغال ، الوطن .. الشمس .. الحرية . بل الحياة نفسها !!

وفي الوقت الذي كنت انشغل فيه بالتحدث مع نفيسة كانت
امها تشملني في صوت خفيض بسيل منهمر من الدعوات والتمنيات
الطيبة .

وودعتها لكي اذهب الى المحكمة العسكرية حيث اعيد مراجعة
الملفات .

وعند باب الفندق اندفعت والدة جميلة وشقيقتها نحوى اندفاع
حارة متدفقة بالحب واختضنتني كل منهما بقبلة .

وابتعدت السيدتان . وفجأة قبل ان تغيبا تماما عن ناظري التفتت
مدام يوباشا وصاحت بي ملوحة :

« لاتنسى يا حبيبتي .. ساعطيك عيني ثمنا لانقاذك جميلة !

واخذت اعيد مراجعة ملف قضية جميلة وكنت كلما تعمقت
في محتوياته كلما تبين لي فداحة الجرم الذي اقترف في حق الفتاة
البريئة وتأكدت عندئذ انه من السهل ألين جدا ان تلفق لاي مواطن
في الجزائر اية تهمة اجرامية وتثبت عليه ويحكم بادانته . ودون وجود
اي دلائل للاثبات .

وبينما انا اتطلع في عجب في التقرير الذي دونه الدكتور ليفي
لوري بعد فحص جميلة وجدت انه يذكر انها تعاني من بعض
الاضطرابات الخاصة بالعادة الشهرية والتي ترجع الى بعض الظواهر
المعينة في تركيب جهازها التناسلي »

وغادرت دار المحكمة الرسمية « باربوروس » حيث تسجن
جميلة .

كان يبدو التألق . والحيوية على محياها الاسمر الجميل . وكانت
بردى رداء نظيفا محتشما مكونا من قميص ناصع البياض مقفصل
بأزرار من العنق وجيب بليسيه غامق اللون ..

واخذت بل وسحرت من الجمال الطاهر النقي المشع من ملامح
وجهها . وكان شعرها ملفوفا ومقصوفا في هيئة « شينيون » جميل
في مؤخرة راسها .

وكانت تتكلم في صوت وخيم مرح .. والكلمات تخرج فرخة متألفة
من شفيتها .. لقد عادت الى الفتاة التي حطمت وعذبت بالامس حتى

الموت .. عادت اليها الآن السعادة والرغبة الفامرة في التمسك باهداف الحياة ، والاصرار على النضال .

وسألتنى :

« ماذا يجب ان اقول في الجلسة غدا .. ارجو الا اتفوه بتفاهات »
ثم اضافت في صوت كله ثقة واعتداد :

- في النواحي السياسية اعرف ما يجب على قوله . ولن احيد عن رأيي بحرف واحد ... » ثم استرسلت وكانها تخاطب نفسها:
- لقد صممت ان اناضل واضحي في سبيل استقلال وطنى .. »
فقاطعتها متسائلة :

- لماذا ؟

- كيف ، لماذا ؟!! .. لان هذا هو الحق والعدل .. وعلى العموم لا بد ان نصل الى اهدافنا في القريب العاجل
وفي الواقع انى كنت اريد مناقشتها في هذا الموضوع . وسألتها :
- كيف بدأت السير في طريق السياسة ؟

فاجابت :

- كنت اعمل وادرس في مستشفى « بنى مسو » وقمت بسرقة بعض الادوية من مخزنها واوصلتها لبعض الاخوان المجاهدين الذين يقيمون في الاجراش المترامية .

وبالرغم من اننى كنت اؤدى عملى في مهارة فائقة واحصل على تقديرات ممتازة فقد فوجئت ذات يوم بقرار يفيد ان جميع المسلمات العاملات بالمستشفى سيطرذن منه ! .. وهكذا بدون أى سبب !

كان كل شئ يذهب غنيمة في ايدى الفرنسيين . اما العرب فليس لهم أى شئ .. ولكنى كنت اريد ان ادرس واتعلم لاصبح مخلوقة ذات قيمة .

وبدت عيناها اكثر سوادا وهى تقول لى :

- ولكنى تبينت في نهاية الامر ان العربى لا يستطيع مطلقا مهمنا تعلم ومهما درس ومهما بذل ، لا يستطيع ابدا ان يصبح شئيئا له قيمة بى وطنه بدون ان يتحرر هذا الوطن .. اليس هذا ظلما يينا ؟

فاجبتهن :

- لا ..

وهنا اندفعت قائلة في ثورة جامحة :

— كل شيء لهم هم ... ونحن لا شيء لنا مطلقا في بلدنا !!
فقلت لها :

— وددت أن أقول لك أن هذا هو الوضع الطبيعي في مثل هذا
النظام الاستعماري الذي ترزحون تحت قيوده ..
وهزت جميلة كتفيها قائلة :

— الشيء الطبيعي هو ... أن نكون أحرارا مستقلين في بلادنا
ثم أضافت كمن تستعطفني متوسلة :

— ألا تفهمينتي؟! .. أنا نستطيع أن نحب الفرنسيين كل الحب
.. لو كنا أحرارا مستقلين ... ويبدو أن هناك فكرة ما كانت تلح على
عقلها فسألتني مستفسرة :

— أنت توتسية أم فرنسية ؟
فأجبته :

— إيواي تونسيان .. وتجنسا بالجنسية الفرنسية وأنا فرنسية
الجنسية . وكذلك إينائي .. ويبدو أن جميلة لم تجد من اللائق
هندئذ أن تسترسل في ابتداء رأيها في الفرنسيين . فقالت لي :

— قلت لك أنني سرقت تلك الأدوية لأقدمها للمجاهدين .. وكنت
اعتقد أن العمل والواجب الحقيقي الذي يتحتم على كل مواطن جزائري
أن يقوم به هو العمل أولا وقبل كل شيء لخدمة وطنه .. وبعد ذلك
استرسلت في عملي من أجل وطني .. أخفيت المجاهدين في كثير من
الاماكن .. بل كنت أحيانا أخفيهم في حجرتي ... هؤلاء الذين يبلل
الجنود الفرنسيون جهدهم في البحث عنهم ! ثم أضافت بسرعة كمن
تخاف أن تداعب ذهني فكرة غير سليمة :

— هل تعرفين ؟ .. ليس الأمر هنا مثله في فرنسا — لا .. أننا
نختلف اختلافا تاما عن الفرنسيين .. أن « الأخوات والأخوة »
يستطيعون أن يمكثوا معا في حجرة واحدة دون أن يلمس الأخ اخته
لمسة عابرة .. فنحن نقيم عندنا .. محكمة شديدة الصرامة والقسوة
لكل من لا يحترمون الفتاة ..

ولم أدهش للصرامة والتزمّت الديني الشديد الذي كانت جميلة
تدين به .

وفجأة حضرت حارسة السجن الى زنزانة جميلة ووجهت لى
حديثها قائلة :

— لقد حان وقت الانصراف .

فطلبت من جميلة أن تقوم بامضاء الشكوى التى اعددتها امس مساء لتقديمها فى الجلسة القادمة . فذيلتها جميلة بالامضاء التالى بخطها الدقيق الصغير الذى يشبه خط الاطفال : « جميلة بوباشا — السجناء بسجن الجزائر » . بتاريخ ١٧ مايو سنة ١٩٦٠ .

ونهضت واقفة اغادرتها فسألتنى :

— « غدا ؟ .. »

— نعم غدا . ولا تقولى أى شئ . سأتكلم أنا لطلب التأجيل . .
وسترين بعد ذلك ما يجب عمله .

ولكن جميلة كان يبدو عليها الاضطراب والخجل الظاهر : فاقتربت منها وربت على كتفها لاشجعها على الحديث فسألتنى قائلة :

— اننى .. اننى لا اعرف ما يجب أن ارتديه من ثياب عند ذهابى غدا الى المحكمة !! ..

وهنا شعرت بعبء التعب الذى كنت انوء تحت ثقله لكثرة ما بذلته من جهود طيلة هذا اليوم ، وشعرت به يزول تماما عنى . . .
واحسست بكثير من الراحة امام هذا المزيج العجيب من النضج المشبع بالآلام والاسى ومن الطفولة الانثوية البسيطة الساذجة التى تدعى ..
جميلة بوباشا ! ..

ولم استطع الا أن انطلق ضاحكة لسؤالها هذا . واجبتها مازحة :

— يجب أن تختارى الفستان المناسب من دولابك الكبير الذى وضعوه تحت تصرفك فى سجن باربوروس ..

فاجبتنى فى اهتمام .

سأرتدى تأييراً كحليا املكه . هذا انسب نحو المحكمة وينسجم كثيرا مع لون بشرتى ..

فقبلتها على وجنتيها ..

وبينما انا اغادر بوابة السجن الشاهقة كنت اقول لنفسى : اننى ميمونة الطالع .

وبدأت قضية جميلة بوباشا مرحلتها القضائية ..

الجلسة الاولى

اليوم صباح ١٨ مايو . لم اقل سوى قسط ضئيل جدا من الراحة في تلك الليلة .

لقد ظلت حتى الساعة الرابعة صباحا ادون وانتقل نص عريضة طلب التاجيل التي ساقدها الى المحكمة .

ثم اغفيت خلال فترة قصيرة لأصحو في الساعة صباحا .

وفي الساعة الثامنة خرجت متوجهة الى شارع كافينياك .

لقد حضرت متأخرة قليلا عن الموعد المحدد لافتتاح الجلسة . . هذا مع اعتبار ان قضية هذه المحكمة العسكرية العليا يدون على درجة ضئيلة من التجهم والعبوس في وجهي . .

فرئيس المحكمة هو الكولونيل كاترينو . وفور دخولي الى قاعة المحكمة . . متأخرة عن الموعد المحدد وجه لي الكولونيل كلامه قائلا في تقطبة عابسة :

— سيادة المحامية . . ان المحكمة ليست تحت تصرفك . . !

وبدلا لي ان العبوس والصرامة والتجهم طابع عام على وجه جميع هيئة المحكمة الحاضرة حينئذ .

واحد فقط . . واحد فقط من ضمن هذه الهيئة الصارمة كان ينظر لوكيتي جميلة باهتمام بين . كان هذا هو الضابط الذي يجلس على يسار رئيس المحكمة . .

اما جميلة

جميلة كانت تجلس مرفوعة الهامة . . منصبة الرأس في ثقة واعتداد رائع . وكانت ترتدي ساعتئذ ثابرا كحليا غامق اللون . وعقبت شعرها وراء رأسها في تسريحة طبيعية بسيطة تميل الى الخشونة .

وعندما رأتني ادخل باب القاعة وانا مرتدية ثوب المخامة اخذت تنظر لي نظرة اعجاب باسممة ولوحت لي بايماءة مرحة خفيفة .

فابتسمت لها واخذت مكانى بجوار المحامى الفرنسى المستوطن
«ت» الذى اتى حسب اتفاقى معه ليعان لهيئة المحكمة بعدم رغبته فى
الدفاع فى قضية جميلة بوباشا .

وبدا افتتاح الجلسة حسب القواعد المعروفة : قراءة اعلان المحكمة
.. طلبى بتأجيل نظر القضية الى موعد آخر .. ثم نص الاتهام

وخلال ذلك كانت جميلة تنصت باهتمام بالغ .. ولم تكن عيناها
تتحولان عن كاتب الدعاوى وهو يسرد القوانين والنصوص التى يجب
ان تحاكم المتهم بمقتضاها .

وحين انتهت تلك الاجراءات انسحب قبلى المحامى المستوطن
الفرنسى «ت» .

وكنت قاعة المحكمة غاصة بعدد كبير من الحاضرين وبينهم بعض
الصحفيين المحليين وكثير من رجال البوليس ، ومندوب الاستعلامات
العامة فى الجزائر الذى يقوم بتسجيل كل صغيرة وكبيرة تدور فى
هيئة المحكمة . وخاصة ان مهمته الرئيسية هى مراقبة « فئة المحامين
المناصرين للمنظمة الجزائرية » ونقل كل ما يتفوهون به خلال دفاعهم
عن المتهمين الجزائريين ..

وفى نهاية القاعة كانت تجلس والددة جميلة وشقيقتها نفيسة
وفى المقدمة جلس بعض الشهود .

وحينما بدأت المرافعة طلبت السماح لى بالكلام .

فقلت اننى ملزمة حسب اوامر السلطات الفرنسية الا ابقى فى
ارض الجزائر اكثر من ٤٨ ساعة .

— لم يتم لى ان ادرس ملف القضية دراسة وافية وكاملة . ولا
شك ان المتهم له الحق كل الحق فى تحضير الدفاع اللازم له واحضار
من يسانده من شهود ..

ولذا فاننا اطالب بتأجيل نظر القضية حتى يتاح لى الاستعداد
الكامل للدفاع .

ولاحظت اننى كلما مضيت فى حديثى هذا ازدادت علامات الدهشة
والذهول الواضح من جرائى على سمات حضرات الضباط اعضاء
هيئة المحكمة العليا !!

واخذت شرارات الغضب والثورة والامتعاض تتطاير من عيونهم
وهم يصوبون نحوى نظرات حارقة :

تاجيل ؟!

انها لجريئة فعلا تلك المحامية .. لابد انها تخفى في جمعيتها
امرا

وبدا ان رئيس المحكمة بصفة خاصة كان لا يحاول مطلقا اخفاء
ما يعتل في نفسه من مشاعر العدا للتمهمة .. فكان يقاطعني بسين
لحظة واخرى .. وينهال على بالاسئلة المتلاحقة .. ويعلق على كلامي
في عبارات غاضبة ثائرة

وبصراحة لم يكن الجو ملائما ابدا

وبدا ان جميلة كانت متوترة الاعصاب بسبب الجو المكهرب العدائي
الذي يحيط بنا وانحنت الفتاة على قاعدة المسند الموضوعة امامها
واخذت تطيل النظر الى من مكانها البعيد .. وكأنها تحاول الاقتراب
منى في موقفى ..

تبا لهم ! .. ان الامر يتطلب منى كثيرا من الشجاعة والثبات
.. بل كثيرا من الجراءة والاقدام .. على ان ابدا بشن الهجوم عليهم

كنت اعتقد ان التاجيل بالنسبة لنا هو بمثابة فرصتنا الذهبية
نفضله ساتمكن من اعداد الدفاع اللازم وبفضله ايضا .. ساستطيع
عند رجوعى الى باريس ان اعلنها وأطلقها فضيحة يدوى صدها في
كل مكان .

ولكن كان هناك عائق قانونى لا يستهان به عائق فعلى واضح
المعالم قد يقف سدا في سبيل طلبى بتاجيل نظر القضية .. وهو
اعتراف جميلة بانها متهمه بوضع القبلة !

وبدأت هجسومى :

« أرجو أن تعلم هيئة المحكمة العليا المبجلة انها لو رفضت الموافقة
على تاجيل نظر قضية موكلتى جميلة بوباشا .. واصرت على محاكمتها
دون منحها الفرصة الكافية للدفاع عن نفسها دفاعا حرا كاملا ، في هذه
الحالة لايسعنى الا أن انسحب عن الدفاع في هذه القضية .. »

ثم اضفت قائلة ..

« .. هذا وقد طلبتا من السيد Le Bâtonnier L'Alyer

ان اعتبر تابعة لرئاسته في الجزائر .. لقد طلبت من سيادته التكرم
بحضوره هذه الجلسة .

فصاح رئيس المحكمة :

« واين همسو ؟ ..

فحضر السيد نقيب المحامين ويدعى مسيو لاكير . وكان يمشى في خطوات متثاقلة بطيئة . وكأنه أراد خصيصا الا يوجه نظره نحوى وهو يتجه نحو هيئة المحكمة ليساندى فى طلب التاجيل . ولكنسه اضاف قائلا موضحا :

— وهذا حسب طلب Le Bâtonnier Orrighe بباريس ووجد سيادته واجبا عليه أن يرد فى تعزيده لى بكلمة مناسبة عن « المذابح البشعة » التى تقوم بها المنظمة الجزائرية F.L.U. فى الجنود الفرنسيين الأبرياء !! . وانه لا يولى اى اهتمام لامثال جميلة برحريد او بوباشا او غيرها . . ! وان السادة رجال القضاء الفرنسى فى الجزائر لا يؤدون سوى واجبهم فيما يصدرونه من احكام حين تعرض عليهم احدى القضايا . .

لقد تغير الجو السائد فى ساحة المحكمة ! وبدت آيات التاثرواضحة على سمات هيئة المحكمة وهم يستمعون لهذا المقطع السياسى العاطفى المؤثر الذى القاه المسيو لاكير على مسامعهم . .

وكان المنظر الممثل امامى هزليا مضحكا فعلا . . ولم يسعنى سوى ان اتابع تطوراتى . . كائى متفرجة « غريبة عن هيئة التمثيل »

وكان المسيو سويلر هو ممثل الحكومة الفرنسية فى القضية وهو شخص بين المخاتلة والرياء . يطبع دائما على وجهه ابتسامة صفراء باردة وعندما جاء دوره لابداء الراى صاح منفعلا :

— لا . لا اوافق مطلقا على التاجيل . . واطاف سيادته وهويشير الى جميلة :

— ان هذه الارهابية يجب ان تنال جزاءها الحق . .

الادلة الدامغة التى يحتوى عليها ملف القضية لتدينها ادانة تامة . . ولا شك ان الدفاع يبذل محاولات عقيمة عرجاء فى سبيل هذه الارهابية المائلة امامكم . . «

. . وهنا اعلن الرئيس توقف الجلسة لكى تتشاور هيئة المحكمة فى طلب التاجيل .

فانتصب الجنود والضباط يؤدون لهيئة المحكمة التحية العسكرية لدى انصرافها الى غرفتها الخاصة للمداولة .

وخلال ذلك توجهت نحو جميلة التى كانت تتبع مايدور حولها فى اهتمام شديد وعيون لامعة واخذت اتحدث معها : وكانت هى تحيبنى وتسر الى اذنى ببعض المعلومات . .

واقترب منا بعض الحرس الحاضرين قائلين ان مثل هذا التصرف
منى ومن موكلتى « غير لائق » .

ولكنى عرفت كيف اوقفهم عند حدهم فى عبارة جادة قاطعة وفجأة
تعالى رنين الجرس ليعلن انتهاء المداولة . وابتداء عودة هيئة القضاة
الى قاعة المحكمة .

وصاحت جميلة من مكانها بعد ان اخذ اعضاء هيئة القضاة
اماكنهم

صاحت فى صوت عال واضح النبرات .

- لو تركت محاميتى مهمة الدفاع عنى .. فسأنسحب معها !.

وهنا رايت الحرس الواقفين حولها يغفرون افواههم دهشة مما
يسمعون .

وقال رئيس المحكمة بادئا فى تلاوة قرار هيئة المحكمة بخصوص
طلب التاجيل .

- باسم الشعب الفرنسى ! ..

وهنا قام القضاة الآخرون باداء التحية العسكرية ومن مكانى
اخذت انظر الى جميلة : كانت توجه نظرات القلق والترقب نحو
هيئة المحكمة ..

: واصدرت هيئة المحكمة قرارها : بقبول تاجيل نظر القضية

ثم رفعت الجلسة . ورجعت جميلة الى زنزانتها فى صحن حرسها
.. ورجعت انا الى الفندق حيث كانت تنتظرنى مدام بوباشا وابنتها
نقيسة .

في اليوم التالي ذهبت لمقابلة جميلة في سجن « باربوروس » وقد لاحظت التغيير الواضح الذي طرأ عليها في خلال يوم واحد .

كانت جميلة يوم ان قابلتها لأول مرة محطمة منهارة باردة المشاعر والانفعالات . وآلان . . . الان تبدو فياضة الحيوية بادية الرغبة في النضال والكفاح الى آخر موى . كانت تود ان تعرف كل شيء . . من سيكون بجانبها بعد رحيلى الى باريس ! . . متى سارجع ثانية الى الجزائر وهل سيوافقون على ان تقوم بالفحص الطبى طيبة لا طيب ؟ . . وهل وهل . . ثم قالت جميلة :

— ان « أخواتى » يكدن ان يطن من شدة الفرح . انهن يعتبرن الموافقة على تأجيل نظر القضية كانتصار خاص لقضاياهن جميعها . . انهن يرغبن من اعماق قلوبهن ان يقابلنك لبعض الوقت . . كم سيسعدهن ذلك .

وبدأت اشرح لجميلة النهج الذى سنسير عليه لعرض شكوانا من تعذيبها اى عليها ان تستجمع في ذهنها كل صغيرة وكبيرة مما عانتها وواقع بها وتصوغها لى بكامل الجزئيات والتفصيلات فى رسالة طويلة كاملة .

فاجابتنى :

— خلال المدة التى سانتظر رجوعك فيها ساكتب قصتى . . وحانت لحظة السفر . السفر الى باريس و اردت ان يكون وداعنا بسيطا مختصرا .

وكذلك حاولت جميلة ان تفعل نفس الشيء فقالت :

— اشكرك لكل ما فعلته من اجلى . .

فاجبتها وأنا أحاول السيطرة على انفعالاتى :

— سباحضر بأسرع ما يمكننى يا جميلة . فيها هى قضيتك فى بدايتها . ولم تكن تذهب الى ما أقول . . كانت الدموع تنساب رقراقة على خديها . ونهضت بسرعة من مقعدها ثم غادرت قاعة الانتظار التى كنا مجتمعين فيها .

وكانت الحارسة تقف بجوار الباب . فجرت خلفها وأمسكتها من يدها لتعود بها الى زنزانتها .

وبينما أنا أهم بمغادرة غرفة الانتظار فوجئت بسجينتين جزائريتين
تندفعان في أثرى . فاستدرت لاشعر بأذرعهما تطوقان عنقي ..
« تقبلان وجنتى ثم تفران هاربتين خوفا من بطش الحرس وهما تلوحان
لى من بعيد : « وشكرا .. على ما حدث هذا الصباح .. لجميلة »



كانت طائرتى المتوجهة الى باريس مستقلع فى تمام الساعة ١٦ .
وبينما أنا خارجة من بوابة السجن شاهدت « بوبى » وهو الزميل
الوحيد ضمن جميع زملائى المحامين الذى لم يتخذ حيالى الموقف العدائى
المستحکم منذ أن قررت القيام بالرافعة فى قضية جميلة بوباشا .
دعانى « بوبى » لتناول الغداء معه فى أحد المطاعم انعاما ...
وبينما نحن نتناول طعام الغداء أخذنا نتحدث معا عن الوضع
السياسى الجائر وعن اخواننا الفرنسيين المستوطنين فى الجزائر ، وعن
مسيو شميالك الذى لقينى بعد انتهاء الجلسة وهنأنى فى حرارة صداقة
قائلا :

— هذا نجاح مؤكد .. أهنتك .

والغريب انى لاحظت أن زميلى المحامى بيير بولى كان دائم التلفت حوله
فى خوف ووجل ظاهر . وهممت أسأله عن سبب قلقه الواضح . ولكنه
أسرع يوضح لى تصرفه معتذرا :

— أنت تدركين ان الامور هنا ليست طبيعية اننا معشر التقدميين
الاحرار من الفرنسيين نحظى بعدم رضاء السلطات الفرنسية عنا .. بل
انهم يعتبروننا أشد خطورة من أعضاء جبهة التحرير الوطنية الجزائرية
ومن الشيوعيين .

وأضاف فى صوت هامس :

— رجال البوليس هم الذين يجدون فى مراقبتنا وتبعنا .

وودعت بولى بعد أن وعدنى بمكالمة تليفونية عندما يحضر الى فرنسا .
وركبت الطائرة الى باريس ..

أما بولى فانه لم يتصل بى تليفونيا .. واعتقد اننى لن أراه الى
الابد .. لقد « وجدوه » أخطر من ان يعيش . فهو يعضد نضال
الجزائريين من أجل الاستقلال ..

من أجل جميلة بوباشا

فمت بتحرير رسالة الى « مارلو » . ولا تظنوا أن « مارلو » هذا هو الكاتب الفرنسى الشهير أو حتى وزير الدولة الفرنسى القائم بالاعمال الثقافية المسمى بنفس هذا الاسم انه لا هذا ولا ذاك . بل هو الشخص الوحيد فى الحكومة الفرنسية المسئول رسميا عن هذه العبارة :

لا يقوم العسكريون الفرنسيون بتعذيب الجزائريين .

قمت فى خطابى لمارلو بسرد كافة الوقائع الخاصة بالقضية وأضفت ما يلى :

« وهذه الوقائع تعتبر على درجة قصوى من الاهمية . وهى لا تعتبر كشيء منفرد قائم بذاته . بل هى متصلة اتصالا وثيقا بالطريقة السائدة فى انزال أقسى وسائل التعذيب بالمتهمين قبل عرض قضاياهم أمام القضاء .

ولعل سيادتكم لا تجهل وجود هذه المنازل والفيلات التى يتخذها المختصون كمراكز لاتمام عمليات التعذيب البشعة فى معظم أفراد الشعب الجزائرى (...) ان الجيش يقوم فى الجزائر بعمليات التعذيب على أوسع مدى ممكن (...)

ولم يكلف الكولونيل مارلو نفسه بمهمة الرد على شخصا . بل جعل مدير مكتبه يرد على خطابى قائلا : انه أرسل صورة من خطابى الى ميسيو آدموند بتسليم وزير القضاء الفرنسى وصورة أخرى الى ميسيو ميسمر وزير الحربية فى فرنسا .

وقد أعطيت للكاتب الكبير فرانسوا موريك صورةا لكافة الخطابات التى وجهتها لمختلف نواحي السلطات الرسمية العليا فى فرنسا بعد أن قصصت عليه موضوع جميلة بوباشا بكامل تفاصيله .

وكنت لم أراه منذ الاحداث اتى وقعت فى تونس عام ١٩٥٢ منذ أن توجهت اليه أنا وبعض زملائي المحامين نرجو مساندة قلمه فى طلب العفو عن بعض الفدائيين الذين صدر الحكم باعدامهم حينئذ عندما تغير نظام الحكم .

وطلبت من الكاتب الكبير أن يشهد قلمه لتنتقل منه صرخة مدوية فى أنحاء العالم أجمع لاتقاذ المجاهدة الجزائرية ..

ولكن فرانسوا موريك خذلنى .. لأنه جبن عن الدفاع بكلمة واحدة فى قضية جميلة بوباشا .. أو قضية جميع الجزائريين الأحرار .

في يوم ٢٣ مايو أى بعد اصدار قرار تأجيل القضية بما لا يريد من خمسة أيام بعثت لى المحكمة العسكرية العليا الجزائرية اذارا رسميا بأنه ستبدأ محاكمة المدعوة جميلة بوباشا فى الجلسة التى ستعقد بتاريخ ١٧ يونيه القادم فى تمام الساعة الثامنة والنصف .

ها هم الارهابيون قد بدأوا يشنون هجومهم على : لا بد أن هيئة القضاء العسكرية كانت تود بأسرع مايمكن وبدون أى جلبة أووضاء الانتهاء من موضوع جميلة بوباشا .. ولا بد أيضا أن هيئة المحكمة المبجلة تأسفت كل الاسف لما أظهرته من « ضعف » غير لائق بموافقتها على طلب التأجيل الذى قدمته ! فهأهى تحاول جهدها تعويض الشعور بهذه الفلطة :

وبدأت ادون سلسلة أخرى من الخطابات الى المسيو باتان ميشليه وزير القضاء « الخ ..

ولا شك أن كافة خطاباتى تجمعت فى النهاية فى مكان ما بمقر الوزارة بقصر « الاليزيه .. »

واذكر أننى فى مساء اليوم السابق لرجوعى من الجزائر الى باريس كنت قد ذهبت لمقابلة مسيو دانييل ماير رئيس هيئة حقوق الانسان « وعندما انتهيت من سرد تفاصيل قصة جميلة على مسامعه . فوجئت به يأخذ رأسه بين يديه ويتمتم فى ألم :

— ماذا يمكن أن يقال .. ماذا يمكن أن يقال عن كل ذلك « .. ثم بكى .. خزيا وعارا .. !

وفى نفس اليوم كان مسيو دانييل ماير يعقد اجتماعا عاما ليصرف فيه بعض شئون الهيئة التى يرأسها ..

. وفى هذا الاجتماع تحدث سيادته عن جميلة ولفت انتباه الحاضرين الى وجودى بينهم وطلب منى الحضور الى منصة الخطابة . ومضيت أتكلم .. وأتكلم وخيم السكون على القاعة الفاضة بالحاضرين .. وغشت الوجود سحابة من الوجوم والألم . والسيدات قد أجهشن بالبكاء . وقد علمت بعد الانتهاء من كلامى أن احدى السيدات نقلت من القاعة مغشيا عليها عندما سمعت تفاصيل التعذيب والاعتداء البشع الذى لاقتبه المجاهدة جميلة ..

وقام أحد الصحفيين فى اليوم التالى بتخصيص مقال هام فى جريدة « لوموند » عن موضوع جميلة .. وكان حاضرا أثناء الاجتماع .. وجاء مقاله تحت العنوان التالى :

« لجنة المعونة تتبنى موضوع جميلة بوباشا »

وفي اليوم التالي شعرت برغبة شديدة للالتجاء للكتابة الفرنسية الكبيرة سيمون دي بوفوار . وفي الواقع لم اكن أستطيع تحديد الوسيلة التي عزممت دي بوفوار على معاونتنا بها، ولكني كنت متيقنه يقينا تاما أن تعضيدها لقضيتنا يكون نزيها ونظيفا . . . في المائة وغير محدود المدى . .

فأتصلت بها تليفونيا في الحال ، وبعد حوالي ساعتين ذهبت لمقابلتها في أحد المقاهي الواقعة بميدان دنفر روشورو . .

وسردت عليها كل شيء : التعذيب ، مصير عائلة بوباشا . القضية التي بدأت في ١٨ مايو الماضي ، طلبى السابق للتأجيل . ثم التاريخ الذي حدده القضاة العسكريون لمحاكمة جميلة بمقتضى الاعتصافات التي أخطروها اليوم بها بطريقتهم الخاصة . وأجابتنى سيمون في بساطة رائعة :

— « نعم سأساعدكما . . »

وبدأنا نبحث سويا في الرسائل الفعالة التي سنتبعها لا أحداث وتفجير رد الفعل في اوساط الراى العام . .

وقررت سيمون دي بوفوار أن تتخذ جريدة « لوموند » الكبرى كقلعة حصينة تصوب منها هجماتها . .

وفي مساء اليوم سافرت الى الجزائر وفي هذه المرة لاحظت ان موكلتى الشابة جميلة بوباشا قد غدت بين جموع الشعب الجزائري . . كرمز حى للبطولة والبسالة والكفاح .

في ٢ يونية ظهر بجريدة « لوموند » أول مقال لسيمون دي بوفوار عن جميلة في «باب الراى الحر » وكان تحت عنوان :

« من أجل جميلة بوباشا » . .

كان المقال رائعا . رائعا بكل معنى الكلمة ، رائعا في أسلوبه الشيق الجذاب . . رائعا في الشجاعة المتצועة من كل كلمة من كلماته . . لم يكن فيه أى لون من الوان التصنع أو الرغبة في استمالة المشاعر . بل كان يفرض نفسه على القارىء ويشير بأصبع الاتهام لما جاء به من وقائع وحقائق دامغة واقعية . قالت سيمون دي بوفوار

في نهاية مقالها : « من أجل جميلة » أن قضية جميلة بوباشا لتهم جميع الفرنسيين دون استثناء ..

لقد سردت سيمون في مقالها كل كبيرة وصغيرة من مأساة جميلة لم تهمل أى شيء سردتها بكامل التفاصيل منذ اللحظة التي انقضى فيها الجنود الفرنسيون على منزل عائلة بوباشا حتى قضية التحقيق الأولى أنتى بدأت في ١٨ مايو السابق .. والقضية التي ستبدأ في ١٧ يونيو القادم ويرغبون في تلفيقها وكنتم صداها بأى طريقة ممكنة ..

وكتبت سيمون في مقالها حرفيا :

« وقاموا بدفع زجاجة بيرة داخل جزء حساس من جسم الفتاة الجزائرية العذراء .. »

وقد استعملت سيمون الكلمة الصحيحة الطبية لهذا الجزء من جسم الفتاة وهي « رحم » ويبدو أن رئاسة تحرير الجريدة رأت ألا تخدش حياء القراء الفرنسيين بذكر كلمة « رحم » .. فغيرتها بكلمة « بطن » ..

ولكن هذه الدقة والمحافظة المتناهية على مشاعر القراء . لم تمنعهم من فهم ماتعنيه سيمون . ولم تتأخر سيمون أيضا عن أن تقول هذا الرأي في صراحة رائعة واقدام قد :

« .. وعندما يوافق الحكام بأن ترتكب الجرائم باسم الوطن فان جميع المواطنين يكونون شركاء في الجرائم المرتكبة » .

وكانت خطوط معركة سيمون دي بوفوار من أجل جميلة بوباشا، واضحة ظاهرة المعالم .. ارغام المختصين على تأجيل الجلسة المحدد عقدها في ١٧ يونيو المقبل .. ورعاية مصير أسرة بوباشا ومن تجرؤا للدفاع عنها والشهادة في صالحها .. وتوقيع العقوبات القاسية على جلادى « سجن البيار » وحسين داي . هذه هى أهم عروض سيمون دي بوفوار لكل من لم يرغب في أن يكون شريكا في الجرائم المرتكبة في حق جميلة وأسرتها وغيرها من المواطنين الجزائريين ..

وكان المسيو ميشيل دي بريه أول من وقف للرد على مقال سيمون دي بوفوار .. وكان رده عليها عبارة عن أمر بمصادرة جريدة «لوموند» الصادرة في ٢ يونيو .. أى التي نشر بها مقال سيمون دي بوفوار من أجل جميلة بوباشا ! .. فمن المعروف أن هذه الوسيلة تعتبر من الطرق الدارجة المعتادة حكوميا لالقاء الستر الكثيفة على أى موضوع شائك .. محرج ! ..

بل أن سيادة المسيو دي بريه قام بمهمة اذاعة بلاغ رسمى

بالاذاعة اللاسلكية الفرنسية قصد به وضع الامور في نصابها : « قال البلاغ : » قامت احدى الجرائد المسائية بنشر مقال خاص بعمليات تعذيب لفتاة جزائرية متهمة بجريمة سياسية في شهر سبتمبر عام ١٩٥٩ بالجزائر ..

ونود هنا أن نشير الى أننا قمنا حتي قبل أن يظهر المقال المشار اليه في الجريدة المسائية قمنا بإجراء تحقيق قضائي بمحكمة الجزائر بناء على طلب المتهمة . وذلك رغبة منا في تحديد مدى صحة الوقائع التي ذكرتها .. »

كما قامت « لجنة حماية حقوق وحرية الانسان » بالاهتمام بدراسة هذا الموضوع وبدأت البحث والدراسة فيه منذ فترة «

» وعلى المحكمة العليا للقوات المسلحة بالجزائر « أن تصدر ما تراه من احكام حسب احوال القضية المعروضة أمامها ومع اعتبارها الكامل لكافة عناصر وأحداث القضية ، وخاصة الاعترافات التي أقرت بها المتهممة ..

ولا شك ان المحكمة ستصدر حكمها هذا دون التأثر بأي عامل خارجي ..

ومما هو جدير بالذكر أن الحكومة قامت باذاعتها لهذا المرسوم وباذاعة تفاصيل قضية يحتم القانون أن تكون في طي الكتمان . وذلك لان جميلة لم تكن قد تمت محاكمتها بعد . والقانون ينص على ذلك .

والواقع ان السلطات الحكومية في باريس قد أخطأت خطأ فادحا في مهاجمتها لمقال سيمون دي بوفوار في جريدة لوموند ، لانها عملت بذلك على أحداث موجة شديدة من رد الفعل في أجواء الرأي العام .. ولفتت الانظار اليها فبدأ العالم كله يهتم بموضوع جميلة بوباشا ..

انهالت الرسائل على «لوموند» من كل صوب وحذب من داخل فرنسا نفسها .. ومن إيطاليا .. ومن انجلترا .. ومن الاتحاد السوفيتي ومن كوستاريكا .. ومن مصر .. ومن اسرائيل .. وكانت هذه الرسائل كلها مع اختلاف الجهات التي أرسلت منها تشترك في ظاهرة واحدة .. فهي انتفاضة هائلة جبارة ، في وجه الظلم والوحشية المنكرة .. وهي تعبير قوي عن الثورة والاشمئزاز البالغ على كل ما اقترف في حق الابرياء من امثال جميلة .

لقد قال أحد القراء الفرنسيين في خطابه الى جريدة لوموند :

« لقد كنت أحد افراد فرق المقاومة الفرنسية التي عاصرت بربرية

ووحشية الجستابو .. وكل ما جاء بموضوع سيمون دي بوفوار عن
المجاهدة الجزائرية جميلة بوباشا .. يذكرني بأحط وأسفل أساليب
ووسائل الجستابو » ..

وأرسلت إحدى القارئات الفرنسيات تقول آسفة « كنا نعتقد في
سذاجة وطيبة أن النظام الحاضر استطاع في مدى سنتين أن يمحو
أثر هذه الأعمال المروعة .. »

وكان الأمر يتطلب عملا إيجابيا ، وتلقت سيمون دي بوفوار
ضمن تلال الخطابات التي أخذت تنهال عليها من كافة أنحاء العالم هذه
الرسالة من أحد المواطنين في باريس :

سيدتي .. اننى لست شخصية مرموقة .. وما أنا سوى
مواطن بسيط مغمور كغيري من الملايين العديدة .. ولكن لو رأيت أن
امضائي يستطيع أن يساهم في نصر قضية جميلة بوباشا على جلاديه
فأنا أقدمه من صميم قلبي .. »
وكتب لها أحد القساوسة الأمريكيين يقول : « أنك تكافحين من
أجل جميلة بوباشا باسم العالم أجمع .. ومن أجل تسديد خطي العالم
إلى سبيل الهداية »

وتعتقد سيمون أن الخطاب الذي سكب فيه كاتبه أبلغ آيات الالم
والتقزز هو الذي وصلها من مدرس فرنسى .. وقد جاء فيه :

« رجائي أن تقولى للأنسة بوباشا أننا معشر المدرسين نشعر
بالخزي والعار من أجل فرنسا .. بل نشعر بعجزنا عن المضي في تلقين
تلاميذنا ما تتضمنه الكتب الفرنسية من مبادئ سامية وأخلاقيات .. »
واستمر سيل الخطابات الجارف ينهمر على لوموند وعلى
سيمون دي بوفوار ولم تكن مجرد خطابات عادية للتعبير عن آراء عدد
من القراء .. بل انفعالات دافقة متأججة الحرارة بالغة التعبير عما
يعتمل في قلوب مرسلها من عواطف الخزي والاشمئزاز والاستنكار
البالغ ..

وبدأنا أنا وسيمون دي بوفوار نبحث معا عن أهم السبل التي
ستبدأ فيها معركتنا من أجل جميلة بوباشا « لاحاطة الرأي العام العالمى
علما بها واشراكه فيها مشاركة فعلية » ..

وقد وجدت في المسيو لوران شوارتز رئيس لجنة أودان ووجدت
فيه تعصيذا قويا لقضيتنا ورغبة صادقة في معاونتنا .. فهو الذى كان

أول من مهد لنا مهمة نشر أول مقال لسيمون دي وفوار عن جميلة في جريدة « لوموند » ..

وهو أول من نشر مقالا للاهابة بالرأى العام أن يرفع صوته في وجه السلطات من أجل تبرئة الجزائرية المجاهدة التي لم تقترف أى ذنب.

ولا شك أنكم تتذكرون قصة الشاب «أودان» الذى حدثتكم عنه فى أولى صفحات هذا الكتاب . انه هذا الشاب الفرنسى المثقف الذى ذهب ضحية شجاعته ونزاهة ضميره لقد وقف يجاهر بتعذيب الجزائريين الاحرار فى قضاينهم ويدافع عنهم فى بسالة وأقدام .. وذهب «أودان» شهيدا ضحية شجاعته ودفاعه عن الحق ..

وكان من الواضح أن معظم الذين راسلوا سيمون دي وفوار من المهتمين بموضوع جميلة يصرون على أن تظل قضية جميلة ماثلة أمام انراى العام يكافح فى سبيلها حتى النهاية . كانوا يطالبون ليس فقط بالتنديد بوسائل التعذيب والارهاب ولكن ينادون أيضا الكاتبة الكبيرة أن ترأس حملة الدفاع المنظمة من أجل درء التهمة الموجهة الى جميلة والدفاع عنها ..

ومنذ هذا اليوم قررت سيمون دي وفوار أن تنظم لجنة فعلية « من أجل جميلة بوباشا » ..

وكانت تعرف انها يجب أن تقوم بنشاطها فى هذه اللجنة بطريقة واقعية ملموسة .. فلم يكن من المستبعد أبدا أن تصبح جميلة رمزا حيا معنا . كما أن الضرورة كانت تقتضى أن يوقع بمن عذبوها أقسى أنواع العقاب المادى ، ويذيع صدادها فى « كافة انحاء العالم »

ولا شك أن البرنامج كان متشعب الاطراف محفوفًا بكثير من الامل والرجاء والاحلام . ومع ذلك فإن فرصة النجاح كانت محتملة.

وفرانسواز ساجان نفسها . هذه الفتاة الرقيقة التى كانت تخشى دائما ولوج أبواب السياسة . فرانسواز ساجان لم تتأخر مطلقا فى أن تفتح معنا حرمة النضال الفكرى المنظم « من أجل جميلة »

وكنت قد قابلت فرانسواز ساجان فى بلدة ايكوفيل التى تقيم فيها بصفة دائمة . وحينما انتهيت من سرد وقائع قصة جميلة بوباشا على مسامعها قامت فوراً بالاتصال بجريدة « الاكسبريس » وطلبت أن يكون موضوعها فى الاسبوع القادم عن قضية جميلة بوباشا .

وبذلك انضمت ساجان الى لجنة النضال «من أجل جميلة بوباشا» وكان مقالها الذى صدر حينئذ فى جريدة «الاكسبريس» تحت

عنوان « الفتاة والسمو » ، ذا أثر عظيم على ملايين القراء الذين يطالعون يوميا «الأكسبريس» وبدأت مئات وآلاف الرسائل تنهال على فرانسواز ..

وقد يتبادر الى ذهن البعض منا أن فرانسواز لا تولى اهتمامها إلا لمشاكل «وجود» نوع معين من الشباب ولكن لا أظن ذلك . فقد أظهرت فرانسواز في مقالها السياسى الاجتماعى عن جميلة بوباشا حكمة وفصاحة ونزاهة رأى فائقة راعة ..

وتعالت صيحات الإعجاب والتقدير لها من كافة أنحاء العالم ..

بل ان الكثير من القراء الذين كانوا لا يروق لهم الجوال عاطفى الرومانتيكى الذى كانت فرانسواز تضيفه على معظم قصصها ، كثير من هؤلاء القراء أيقنوا بأن فرانسواز ساجان بلغت في مقالها عن جميلة ذروة النجاح والسمو ..

واحدى الدلائل العديدة على ذلك ، هذا الخطاب الذى تلقتة فرانسواز ساجان ضمن عشرات المئات من الخطابات الاخرى :

سيدتى

انى سيدة متقدمة فى السن . ولا أستطيع أن أقول اننى كنت أميل كثيرا الى نوع القصص التى تكتبينها فلا شك أن هذا النوع من الشباب القلق المستهتر الذى ترسمين ملامحه فى قصصك لا يسبب أى شعور بالسعادة والرضاء لجيلنا نحن الكبار المسئولين عنه ..

ولكن ..

ولكن هذا لا يمنع أننى معجبة كل الإعجاب بمقالك عن جميلة بوباشا فهو يدل دلالة قاطعة على استيعابك الشديد لمأساة هذه الفتاة المجاهدة كما أنك عبرت عن آرائك وعن وقائع هذه المأساة فى براعة نادرة ..

سيدتى : لقد شعرت أنا أيضا مثلك بكثير من الخزي والعار ، بعد قراءة مقالك .. مما فعلته فرنسا فى حق أمثال هؤلاء المجاهدين النبواسل ..

أشكرك على حسن تعبيرك عما أردت قوله ..

وضمن الخطابات العديدة التى تلقتها فرانسواز من كبار رجال الفكر والقلم العالميين كانت من :

جان أمروشى - إيميه سيزار - لوسى فور - ادوار جليسان -
ربنيه جوليارد - البروفسور جورج لافو - ميشيل ليرلس - دانييل
ماير - هيلين بابلين - أندريه فيليب - أندريه بوستفيناي . و ب ..
ليكيه ...

جان بول سارتر - لوران شوارتز - تانجي برمجنث - بيسير
هنري تيتجنث - جيرمين تيليون .. الخ ..

وكانت هذه الاسماء الالامعة في ميدان الفكر قد انضمت الى
لجنة الكفاح من أجل جميلة بوباشا .. « وأست اللجنة سيمون
دي بوفوار ..

وبهذه الكيفية أخذ مجال الاهتمام والمشاركة بالرأى والفكر في
قضية جميلة يتسع ويتضخم وأخذ هدير الرأى العام العالمى يشاركها
في محنتها ويندد بجلاديتها وتعالى هذا الهدير حتى وصلت بعض
صيحاته الى آذان الفتاة الجزائرية المجاهدة المعتقلة خلف جدران
زنزانتها في «سجن الجزائر» . وفي ١٥ يونية أرسلت جميلة «للجنة»
التي نظمت من أجلها خطابا رقيقا تأنقت في كتابته ذيلته بالعبارة
البسيطة الآتية :

« خلال اقامتى في معسكرات التعذيب تصورت أن العالم رجع
القهقري الى عصور البربرية والهمجية .
أما اليوم .. وبفضلكم أنتم فأننى أشعر بكثير من الامل .. »

المندراء .. الحائرة ..

بالرغم من الخطوات المتعددة والاجراءات الكثيرة التى قامت بها «اللجنة» لكى تؤجل نظر قضية جميلة عن تاريخ ١٧ يونية عام ١٩٦٠ بالرغم من كل ذلك لم تنجح مساعيها .

وكان على جميلة اذن أن تمثل ثانيا أمام نفس قضاتها العسكريين ومعها ملف قضيتها الملفق ..

وكان على ان اتوجه الى الجزائر لكى اطالب هناك بتأجيل نظر القضية بالرغم من انهى كنت لا أنتظر أية نتيجة من وراء مثل هذا التصرف : وذلك لان رئيس المحكمة الكولونيل كاترينو وهيئة قضاتها شعروا أنهم خضعوا لمثلة الدفاع عن جميلة عند الموافقة على طلبها بتأجيل القضية ..

وقمت بمحاولة أخيرة للوصول الى ما نريد ، فاتصلت بالمسيو م . رئيس لجنة المعونة . وطلبت منه ان يساندنى فى طلب التأجيل فيرسل تعزيزا تلغرافيا الى الجزائر لطلب التأجيل . ويخبرهم فى نفس الوقت بازماعه الوصول هناك فى مساء يوم ١٧ يونيه ..

ولكن مسيو بانان أكد لى أن المحكمة العسكرية العليا تتمتع بالسيادة الكاملة والبحث النهائى فيما تصدره من قرارات . ومع ذلك فقد أرسل اليها مساندته التلغرافية لطلبى فى التأجيل . وأضاف سيادته قائلا :

— ومن يبرى .. فقد تسير الامور على مايرام . فلا شك أن الرئيس « كاترينو » لن يرأس هيئة المحكمة المقبلة .. ولا بد أنهم سبضعون مكانه قاضيا مدنيا ..

وفى الواقع انه كان محقا فى تفاؤله هذا . ففى ذلك الحين أمكن الغاء نظام المحاكم العسكرية بالجزائر الذى صدر على وجه التحديد بتاريخ ٤ يونية عام ١٩٦٠ .

وجاء دور السفر مرة أخرى الى الجزائر .. وجاء دور نفس الاجراءات المضنية الصعبة .. ونفس المسرحيات الهزلية التى يجب أن أمر بها حتى يسمحوا لى بالسفر ! ..

وبعد سلسلة متتابعة من الصعوبات استطعت أن أحصل على إذن للإقامة هناك مدى سبعة أيام كاملة .

وقد حدد يوم ١٧ يونيو لنظر قضية جميلة بوباشا . ومع ذلك مما يُبهر العجب حقا أن قرار الإذن بسفري الجزائر كان يتضمن النقط الأساسية الآتية ..

السفر الى الجزائر : في ٧ يونية
الرجوع الى باريس : في ١٤ يونية (!!!)

انهم يعرفون اننى ذاهبة الى الجزائر بخصوص الدفاع عن الجزائرية جميلة بوباشا ولذا فقد سمحوا لى متكرمين بالملكوث في الجزائر طيلة سبعة أيام كاملة ، بشرط .. بشرط أن أغادرها قبل البدء في نظر القضية !! .. الا يبدو ذلك مدهشا حقا ؟ .

وبدأت أعترض .. بلا جدوى ..

وسافرت الى الجزائر آملة أن أتمكن هناك من حمل هيئة البوليس على أن تقنع المسؤولين بالتراجع عن هذا القرار « الفريد من نوعه » .

وأنثر قدموى الى الجزائر توجهت الى سجن «باربوروس» لرؤية جميلة .. وبينما كنت أقطع الدهليز المؤدى الى قسم الحريم بالسجن كنت أتساءل عن الحال التى قد أجدها فيها جميلة .. حزينة .. بائسة متأثرة .. حائرة ؟ !!

وعندما رأتنى جميلة مقبلة عليها اندفعت نحوى وعانقتنى . وظلت فى وضعها هذا هنيهة دون أن تقوى على النطق بكلمة واحدة . ثم جالست على أحد المقاعد وهى مازالت على صمتها ثم .. ثم نهضت ثانيا لتقبلنى قائلة :

— كم أنا سعيدة لانك استطعت أن تعودى ثانيا .. كم أنا سعيدة بذلك ! »

وانخذت أقول لها أنها لاتقف الان بمفردها فى محنتها هذه .. وأن صدى أسمها يتعالى فى الوقت الحالى فى كافة أنحاء العالم . وأن الموضوع الذى كتبته سيمون دى بوفوار من أجلها « قد أحدث دويا هائلا وأن عدد كبير من خيرة الكتاب والادباء قاموا بتكوين لجنة خاصة للدفاع عن قضيتها ..

وبدأت جميلة تصور لى من مخيلتها ما عسى أن يكون عليه شكل سيمون دى بوفوار .

— لا بد أنها رائعة الجمال .. أليس كذلك .. أتعتقدين اننى
سأستطيع رؤيتها فى يوم من الايام ؟!

وزادت ابتسامتها اتساعا وهى تقول لى أن مدير السجن أمر بعدم
توصيل عدد من جريدة «لوموند» الذى نشر فيه مقال سيمون دى
بوفار اليها ولكنها مع ذلك استطاعت ان تقرأه ورددت فى حماس
بالـخ ..

— ياله من مقال ! .. هيه ! .. ياله من مقال حقا ! .. أن كل
الجزائريين الاحرار المكافحين فى حاجة الى كاتبة قديرة مثلها ! ..
ثم سرحت جميلة ببصرها فى لاشيء كانت تبحث فى اعماق اعماق
نفسها عما تستطيع ان تعبر به عن مشاعرها الفياضة المتأججة ..
وقالت وهى ترفع رأسها عاليا ..

— أنهم يردون أن يركع الشهب الجزائرى خاشعا على ركبتيه
امامهم، هل نعيش راكعين ؟ ! ..
مستحيل .. لا .. مستحيل ! ..

ثم زاد انتصاب قامتها وهى تردد هامسة وكأنها نحادث نفسها ..
.. الموت افضل من ذلك .. «

وأخذت تترنم بكلمات اغنية عربية قديمة شائعة بين المجاهدين
الذين يحاربون المحتل ويذيقونه الويلات من داخل أحراش الجزائر :

من جبالنا

يرتفع صوت

رجالنا الاحرار ..

وهنا وجدتها تقبل على كما تقبل فى كل مرة يخيل اليها فيها أنها
اظهرت فى حضورى شيئا من المقت والكراهية :

— جيزيل .. يجب أن تفهمينى جيدا ... وانتم جميعا هناك
.. يجب أن تعرفوا أننا لا نكرهكم ولا نمقتكم .. اننا مثل الذين تحرروا
حديثا .. ومثل كل انسان طبيعى فريد أن نكون احرارا مستقلين ..
وأضافت جميلة زيادة فى اقناعى :

— هبى أن ابنك جزائريان .. وثقى انهما حينئذ كانا سيحملان
السلاح ويفعلان نفس ما نفعله نحن « الأخوة والاخوات » .. من المؤكد
.. من المؤكد أنهما كانا سيفعلان ما نفعله نحن الان من أجل حريتنا . «

وفي الفندق عندما اجتمعت بوالدة جميلة وشقيقتها نفيسة
اخبرتها أننا نقوم بجهد كبير لكي تنقل جميلة الى فرنسا حيث تتم
محاكمتها هناك .. ولم تزد اجابة مدام بوباشا على رغبتها هذه
عن قولها :

— « اذا كان ذلك أكثر فائدة .. فأننى أضع ابنتى بين يديك ..
انها ستكون كشقيقة لك .. »



ها هو قد حان يوم ٤ يونيو سنة ١٩٦٠ .

أو بمعنى آخر اليوم الذى تم فيه إلغاء المحاكم العسكرية فى
الجزائر وإبدالها بمحاكم مدنية ..

وبذا ستمثل موكلتى جميلة بوباشا أمام السيد القاضى المدنى
مسيو كاترينو .. بدلا من القاضى العسكرى .. الكولونيل كاترينو !

فالشخص الذى سيقوم بمحاكمتها بعد قانون إلغاء المحاكم
العسكرية هو نفسه الذى قام بمحاكمتها أثناء قيام هذه المحاكم .

والفرق الوحيد الملحوظ بين قاضى المحاكم العسكرية والمحاكم
المدنية هو الزى الذى يرتديه القاضى .. فقد كان الكولونيل كاترينو
يرتدى قبل يوم ٤ يونيو سنة ١٩٦٠ الزى العسكرى الرسمى المزين
بالنياشين والاوزمة خلال عقد الجلسات .. أما بعد اعلان هذا القانون

فلا شك أنه سيستبدل الزى العسكرى المزركش برداء فضفاض
قمرى اللون . كالذى يرتديه رؤساء المحاكم الجزائرية .. ومع ذلك .

فان الثوب لم يكن أبدا معبرا عن حقيقة من يرتديه .. هذا
ما اكدته لى جلسة ١٧ يونيه بمقر المحكمة العليا بالجزائر .

كنت فى باريس حينئذ أقوم ببعض الاجراءات الهامة ..

وفي هذا اليوم قامت الصحافة الفرنسية فى الجزائر تعلنها حربا
شعواء على الفتاة الجزائرية المجاهدة جميلة بوباشا فأطلقت عليها هذه
الصحافة المأجورة أكثر من اسم واسم : واصفة الفتاة بأنها
« الارهابية رقم ١ » ..

بل لقد بلغت السفاهة ببعض هذه الصحف المحلية أن وجهت اللوم
لجميلة لأنها كانت تبدو فى قاعة المحكمة على درجة واضحة من الاناقة
بهذا التاير الكحلى الذى كانت ترتديه وبحدائها الابيض الناصع ..

بل أن البعض رأى في تسريحة شعرها المنسقة بعناية ظاهرة .. كنبرا
من الجسرة والتبجح (!!!)

وعندما بدأت الجلسة أعطى القاضي الكلمة لممثل الحكومة .. وبدأ
هذا الأخير يقوم بسرد تفاصيل التحقيق السابقة ..

ولا شك أن مهمته يومئذ بدت على درجة فائقة من السهولة .. لان
المحاميين الباريسيين لم يكونوا حاضرين وأنهى سيادته الكلمة بأن القضية
تتطلب التأجيل ..

وجاء دور الاتهام ..

وقف ممثل الاتهام يعلن عن وضع يده على مستندات جديدة
أستطاع العثور عليها أخيرا ، وهي تتطلب مزيدا من الاستجواب
والتأكد ..

وأول المستندات التي رأى سيادة ممثل الاتهام وجوب وضعها
في ملف القضية هي جريدة « لوموند » الصادرة بتاريخ ٢ يونيو
سنة ١٩٦٠ ..

ثم أضاف قائلا : ان الكاتبة سيمون دى بوفوار ومعها ممثلة
الدفاع و « إحدى الصحف » قد لجأن الى طريقة غريبة في مساندتهن
لجميلة بوباشا .. وهذا يحتم وضع الكاتبة والجريدة وممثلة الدفاع
في موضع المتهمين بسبب هذا الموقف المشين !!

المستند الثانى عبارة عن تقرير لشخص يدعى الكولونيل فولليه
.. والتقرير مدون بتاريخ ٣ يونيو عام ١٩٦٠ أى قبل أن تبعث جميلة
بمريضة شكواها بخصوص مآلقته من تعذيب . وقبل تقديم هذه
العريضة بما لا يقل عن أسبوعين وقبل أن يظهر مقال الكاتبة سيمون دى
بوفوار في جريدة لوموند ، يومين اثنين ، ويبدو أن المستند كان على
درجة بالغة الخطورة فقد توج بهذه الكلمة الضخمة « سرى جدا » ..

وفى هذا المستند كتب الكولونيل .. موليه تقريره فى خط بديع
وتعبير ملىء بالاثاقة وهو يؤكد فيه تأكيدا قاطعا ان جميلة لم تقع تحت
طائلة أى تعذيب ...

ولم تعامل الا معاملة طيبة حسنة .. وأن السلطات المختصة أمرت
أحد الأطباء بالكشف عليها ولم يجد هذا الطبيب على جسمها أى أثر من
آثار التعذيب والحرق والضرب مثلما ذكرت جميلة فى مذكرة شكواها .

كما يذكر التقرير العجيب أن جميلة كانت تجاهر وتتحدى قائلة

لأنها قامت فعلا بوضع القنبلة في المقهى الفرنسية عندما قام مسيو باتان رئيس لجنة المعاونة بزيارتها في السجن . كما قامت بوضع قنبلة أخرى بجوار المقعد الذي يجلس عليه في مكتبه سيادة رئيس لجنة المعاونة .

ولكن عناية الله هي التي منعت من انفجار القنبلة التي وضعتها جميلة ..

وأخيرا قال الكولونيل في تقريره : ولا شك أن هذه الزوبعة القائمة من أجل المدعوة جميلة بوباشا لاتعدو أن تكون في الواقع سوى حملة منظمة من بعض الدوائر الصحفية والفكرية ذات الميول السياسية المعينة وهنا رد عليه هذا القول ممثل لحكومة في انفعال واضح « بل هي حركة صحفية مخزية !!

وأجاب الزميل المحمي المفروض انه عين للدفاع عن جميلة :

« بل تصرف مخز من الصحافة الفرنسية في باريس وعمل شائن اقترفه المحامون الفرنسيون . »

ومما هو جدير بالذكر انني طلبت من القاضي أن يقوم باستجواب المسيو باتان رئيس لجنة المعاونة بخصوص ماجاء في تقرير المدعو الكولونيل ماليه من أن جميلة حاولت تفجير قنبلة بهذه اللجنة فقام القاضي فعلا باستجواب مسيو باتان الذي أجابه بخطاب مسجل بتاريخ ٢٩ أغسطس سنة ١٩٦١ « سيدى القاضي احيطكم علما بأننى لم أقابل مطلقا المدعو مسيو مولييه هذا بل لم أسمع حتى بوجوده وليس أى علم بكل ماجاء في تقرير المسيو الكولونيل مولييه » ولم يحدث أن سمعت جميلة بوباشا تتفاخر أو حتى تشير الى قيامها بوضع أى قنبلة في أى مكان ..

ولكن الذى سمعته من جميلة انها قالت عند ذهابى لمقابلتها في سجن باربوروس بأنها بريئة كل البراءة من التهمة الموجهة اليها . وانها ترغب في تقديم شكوى عما لاقته من تعذيب وارهاب اثناء التحقيق معها ولم يحدث ان وضعت جميلة بوباشا قنبلة ما في أى مكان من مكاتبى قبل اعتقالها ..

الامضاء

م . باتان

وبعد أن انتهى ممثل الاتهام من تفنيد «مستنداته الجديدة» وجد الرئيس أنه من اللائق أن يتولى التعبير بنفسه عما يجيش في صدره .. فقال :

« وأنا لا يسعني سوى أن أقدم خالص الشاء والتقدير للمحامين المستوطنين بالجزائر والذين يؤدون واجبهم في نزاهة وصدق مرموق.. ثم أعلن انتهاء الجلسة بعد أن صدر قرار بتأجيل نظر القضية الى تاريخ آخر . أما جميلة فقد امتنعت تماما عن الكلام وقالت للقاضي .

« اننى لن أدلى بأى قول الا فى حضور محاميتى الاستاذة جيزيل حاليمة » .

جان دارك الجزائر

بدأت الخطابات والتفارقات تنهال على رئيس الجمهورية من كافة
نحاء فرنسا ومن كثير من البلاد الأجنبية ..

فقد إينعت مجهودات اللجنة واثمر نضالها وأحدثت صدى
عديدا في آفاق الرأي العام ..

وبدا واضحا أن جميلة لن تدان على تهم لم تقتربها والصقت بها
زورا وعدوانا ، وخاصة أنها اضطرت إلى الاعتراف بها تحت ضغط
الارهاب القاسي والعداب المميت ..

ويبدو أن تأجيل القضية في الجلسة السابقة ساعد مساعدة فعالة
على انضمام اعداد هائلة من المتحمسين للقضية جميلة إلى «اللجنة»

فأهم الاصوات التي انضمت أخيرا إلى لجنتنا من أجل جميلة
بوباشا كلها من الكتاب المعروفين أندريه شوارتز - بارت - فرانسواز
ماليه - جوريس الزارثريوليه - وكل من الفلاسفة : جابريل مارسيل
وموريس مارلليوبونتي . والكاتب القدير جيل روس الذي بلغ الذروة
والامتياز في مقاله الرائع ..

والاديب فيوكور . والكاتب بير كوت ، وشارل أندريه جوليان .

وكل من الاطباء : ويل هادلي - ود الزاس - ولاكان وغيرهم من
عشرات المثات الذين منحوا اسماءهم ومجهوداتهم ومعوناتهم المادية ..
لكي تسير العدالة القضائية في طريقها الحق ..

وأهم ما أخذت اللجنة تعمل من أجله وقتئذ : نقل القضية بأكملها
من بين أيدي قضاة الجزائر إلى القضاء في فرنسا نفسها . فلم يكن من
المعقول مطلقا أن يتولى الذين لقنوا ما يعتويهم ملف جميلة من مستندات
زائفة التحقيق في شكوى جميلة مكال لحق بها من تعذيب وأرهاق
واعتداء منكر ...

وفي الواقع أن عملية نقل مهمة التحقيق في قضية الفتاة الجزائرية
من أيدي قضاة الجزائر إلى قضاة باريس لم تكن من السهولة في شيء
بل كانت على درجة كبيرة من الصعوبة من الناحية القانونية .
وكان من الضروري أن يقوم وزير العدل نفسه بطلب اجراء هذا
التنبيه .

وقرر مندوبو « اللجنة » القيام باتصالات مع مقر رئيس العدل للحصول منه على الموافقة بنقل قضية جميلة من أيدي قضاة الجزائر الى باريس .

ولم يكن مسيو ميشليه يجهل مدى ذبوع مأساة جميلة في فرنسا كلها وما أحدثته من دوى في كافة أنحاء العالم .

فذهبنا لمقابلته في مقر وزارته الواقعة بميدان فاندوم بباريس ولم يصعب علينا عند وصولنا الى غرفة مكتبه أن نرى على مكتبه عددا كبيرا من كافة الصحف التي أشارت أو أسهمت في موضوع جميلة يوباشا .

ثم توجهنا بعد ذلك الى المسيو « باثان » للحصول على تعميده وموافقه وكان الوجد مكونا من أربعة أشخاص .

سيمون دي بوفوار . والكاتبة جيرمين تيليون . والمجساةة الفرنسية القومية أنيس بوستل فيتاي وأنا .

وعند وصولنا الى مقر الوزارة في الموعد المحدد وجدنا سيمون دي بوفوار تنتظرنا هناك . فهذه هي عاداتها عند أي موعد . وحضر أيضا المواطن الفرنسي أندريه بوشل فيتاس . وقد قدرنا فيه هذه الشجاعة والاقدام الباسل فهو يشغل وظيفة هامة بالحكومة الفرنسية . وبالرغم من ذلك لم يتأخر ولم يجبن عن الاشتراك في عمل يؤدي الى مساندة ومساعدة مواطنة جزائرية من أعضاء جبهة التحرير الوطني اذقها العسكريون الفرنسيون أشد وأقسى ألوان العذاب . وطالب الموظف المختص « لجنة يوباشا » بالانتظار في غرفة صغيرة مجاورة لمكتب المسيو باثان رئيس لجنة المعونة .

وبعد بضعة دقائق أذن لنا بالدخول الى مكتب مسيوباثان . وبعد أن بينا للمسيو باتان سبب مجيئنا أخذ سيادته يتفحص كلا منا على التوالي ثم بدأ يتكلم .

« لا شك أن هناك أحوالا معينة لا يعتبر الضباط مسئولين فيها ففي بعض الأحيان مثلا عندما يقادر هؤلاء الضباط أماكن عملهم أثناء الليل .

وبعد ذلك قد تمكث السجينة بمفردها بين أيدي بعض الحراس الشبان الفاسدين »

ويبدو أنه قرأ على وجوهنا عدم فهم لما يعنيه فاستطرد موضحا :
« أعني هؤلاء الشبان من السعاة أو الحراس الذين قد يقتربون أعمالا مشينة بعد انصراف الضباط من عملهم ليلا . . . !

ثم استدار مسيو باتان نحو سيمون دى بوفوار وقال لها فى صوت جعله متهدجا متأثرا :

« سيدتى . يؤسفنى أن أقول لك أنك جرحت كثيرا شعور هؤلاء الضباط اشرفاء فى مقالك . . لقد قابلت بعضهم فى الجزائر . . . واستجوبتهم فرأيت أنهم على خلق قويم وتربية عالية .

ثم استطرد قائلا :

انهم ظرفاء طيبون . . بل هم من عائلات مرموقة !!

وأجابته سيمون دى بوفوار

سيدى . كونهم ظرفاء ويحبون فى حياتهم العادية لا يعنى مطلقا أنهم لا يتحولون الى وحوش ضارية عند قيامهم بعمليات التعذيب للجزائريين الاحرار .

وهنا حاول سيمون باتان أن يستعين بالوسائل العنيفة فـقال لها « ولا تنسى يا سيدتى أنك قد ارتكبت خطأ لا يقره القانون بتشارك هذا المقال عن جميلة بوباشا فى جريدة لوموند » . . لا

وهنا تدخلت انا قائلة :

انا التى اعطيت لسيمون دى بوفوار كافة الوقائع والاحداث المذكورة فى مقالها وبينت له أن حكم القانون لا يتأثر من نشر تفاصيل القضايا العادية أو تفاصيل قضايا التعذيب والتنكيل وقضية جميلة قضية تعذيب بحتة . .

لكن سيمون أصرت على تحمل المسؤولية فقالت له :

لقد وجدت يا سيدى من اللازم جدا أن اكتب هذا المقال . . .

ورأى مسيو باتان أن يتراجع قليلا عن موقفه الهجومى فأجاب فى صوت ناعم النبرات

على العموم فانا لست متأكدا مما اذا كان السيد وزير الدفاع سيقدم شكوى بخصوص هذا المقال أم لا . . سنرى . . سنرى »

ورأيت حينئذ أن تعود ثانيا بمسيو باتان الى موضوع جميلة بعد أن بدأ ميله للخروج عن نطاقه فقلت له :

لقد قضيت مالا يقل عن خمسة وثلاثين يوما بين أيدي جلاديها الذين اذاقوها أمر صنوف العذاب واشنع ألوان الاعتداء . .

وكان اندريه بوستل فنيائى يشخص أمامه فى نظرات ساهمة

جامدة ووجه شاحب فاستدار برأسه ناحية الرئيس « وقال له في صوت متهدج .

اننى أعضد حركة تحرير الجزائر . وانا اعلم تماما ان عمليات تعذيب الجزائريين في الجزائر تدور على أوسع وأبشع نطاق . وانا اعارض هذا الامر وأستنكره أستنكارا تاما . وأطالب بعرض الشكوى المقدمة من المجاهدة الجزائرية جميلة بوباشا على محاكم باريس ..

ولاول مرة منذ قدومنا الى مكتب المسيو باتان يبدو أنه غير واثق تماما من موضع خطاه فقال في صوت يفيض بالقلق :

يجب توضيح كل شيء في هذا الموضوع «

ثم استدار نحوى قائلا :

ولا شك ان التجاء المحامى لبعض النواحي الدفاعية قد لا يفيد كثيرا قضية موكلة ... «

وهنا شعرت بمراجل الغضب تغلى في صدرى فاندفعت صائحة فيه: هل تعضد عمليات التعذيب والقتل ؟ وهنا صاح مسيو باتان معترضا وقد علا وجهه شيء من الشحوب .

« لا . لا تلصقى بى ما لم اقله ...

وهنا لجأ كل من جيرين تيليون واتيس بوستل فيتاي بتهمة الجور الذى بدأ يتوتر ويحتد

ان موقفه لصعب حقا ...

فلا شك أن الدور الموكل له برياسة هذه اللجنة الهزلية .. كان فائق الخطورة والدقة فهذه اللجنة لاتعدو ان تكون سوى ستار تختفى وراءه كثير من الخدع الزائفة والتدبيرات السياسية . لم تكن لجنة المعونة تقوم بأى معونة !! .. الا لغة الجلادين العسكريين في الجزائر

وفجأة قال الرئيس « ..

« وعلى العموم فهى غير لطيفة اطلاقا .. جميلة هذه ا

لقد تقابلت معها في السجن .. وتقابلت أيضا مع أبيها .. وجميع افسراد عائلتها : «

ثم صمت سيادته وتنفس نفسا عميقا استعدادا للامر الخطير الذى يود أن يلقي به في وجه الحاضرين .. وقال في صوت عال :
- انهم لا يحبون فرنسا !! ...

وهنا ردت عليه سيمون دي بوفوار قائلة :

ابعد كل ما شاهدوه وما عانوه من فرنسا .. وبعد ما اخترقنا
يتلون عذاراهم بالزجاجات تدهشون لانهم لا يحبون فرنسا ! ..

وتوقف لسان الرئيس تماما عن الكلام . لم يجد ما يقوله . وحاول
أن يهرب من السكون الرهيب المطبق على الحجرة ، بتقليب بعض الاوراق
الموضوعة أمامه .

وفجأة اخترق هذا السكون الثقيل صوت هادئ .. قوى النبرات
« لو وجدت ابنائى فى يوم من الايام مضطرين للاشتراك فى مثل
هذه الحرب الشائنة الدائرة حاليا فان اصوب نصيحة ساقدمها
لهم : التمرد على الجيش »

كان المتكلم اندريه بوستل ميناى صاحب المنصب الكبير بالحكومة
الفرنسية ..

وقامت زوجته اتيس بتأييد قوله تأييدا كاملا :

ولم يجد مسيو باتان شيئا يقوله سوى أن يهز رأسه قائلا فى اصرار
عجيب :

« انها غير لطيفة .. غير لطيفة اطلاقا هذه الفتاة .. وهنا اجابته
سيمون دي بوفوار فى صوت حاد :

المهم فى موضوعنا هنا هو ليس لطفها او عدم لطفها . المهم هو
تحقيق الشكوى التى قدمتها تحقيقا ايجابيا نزيها .

ولكن الرئيس اصر على رايه فى جميلة فقال :

« انها تعتمد نفسها جان دارك الجزائر !! .. »

« انها تعتقد نفسها جان دارك الجزائر !! .. »

وهنا غادرت جيرمين تيلبون مكانها معلنة انتهاء المقابلة ، وقالت :

لكننا بدون استثناء عندما كنا فى العشرين كنا نعتقد أنفسنا
.. جان دارك «

وعند سماع هذا الكلام لم يسع رئيس لجنة المعونة سوى ان يظهر
مخالبه ثانيا من غلافها الناعم فصاح محتدا وقد تضرج وجهه احمرارا
« من انفضب :

ولكن الامر يختلف كثيراً يا سيدتى . أنت ... « أنت فرنسية ..
أما هي ... »

وأسرعنا بالخروج من غرفة رئيس لجنة مساعدة ومعونة « شعب
الجزائر !!

١٢٥٠٠٠ فرنك من أجل فرنسا !!

في هذا الوقت كان أهم ما يشغل بال رجال القضاء القسائمين
بنظر قضية جميلة بوباشا ، هو اخفاق كافة المساعى التى تبذل
للتحقيق بطريقة سافرة مخزية فى الشكوى المقدمة من جميلة بوباشا
بخصوص عمليات التعذيب التى لاقتها على ايدى العسكريين الفرنسيين
فى الجزائر .

كان على الراى العام كله يقف مترقبا يتساءل هل فى الامكان
عقاب من اقترفوا جرائم اعتقال وتعذيب بوباشا وعائلتها بدون اى
ذنب جنوه :

اذن فقد بلغت القضية مرحلة لا يستطيع عندها اكثر القضاة
مكرا وخبثا حفظها واخفاءها فى طى الكتمان والنسيان .

ومع ذلك فان اعمال الخداع والتلفيق والتضليل التى بدت واضحة
بصفة خاصة فى جلسة ١٧ يونيو ، هذه الاعمال والترتيبات والتنظيمات
المعينة لم تكن تسبب لنا اى طمأنينة .

هذا وقد قررت هذه المحكمة ان جميلة بوباشا فى يوم ٨ يوليوس
القادم للتأكد من سلامة قواها العقلية على الكشف الطبى وكان على
الطبيب المختص ان يحدد ما اذا كانت جميلة تعاني من حالة
جنون ، وما اذا كانت ذات خطورة ، او ما اذا كانت ذات اهلية لتحمل
اى عقوبة قانونية، او ما اذا كانت قابلة للشفاء .

وعندما تلقيت خبر هذا القرار العجيب تأكدت تماما ما يدور
فى عقول القضاة العسكريين من افكار .. كان رأيهم هذا يعبر اجلى
نعبير عما يدور بذهنهم وما يهدفون الى تحقيقه .

كانوا يودون الصاق صفة الجنون بجميلة ويجعلونها بذلك غير
مسئولة عن « واقعة القاء القنبلة » ...

وفى نفس الوقت تنعدم قيمة دفاعية الشكوى التى قدمتها جميلة
ضد جلاديهها .. وبالتالي تخفت وتهدأ كافة الاصوات التى تعالت
مطالبة بازاحة الستار عن حقيقة عمليات التعذيب وعن شخصيات
الجلادين الذين قاموا باقترافها

وكان هذا هو معقد آمال رجال البوليس والفرنسيين المتطرفين في الجزائر .

وبينما أنا موجودة بباريس أرسلت اجميلة دعوى بالتوجه في يوم محدد الى عيادة سجن الجزائر .

وكل الدكتور شارل بادونات للقيام بهذه المهمة . وبعد أن اطلع الطبيب الشاب على أوراق جميلة اخذ يوضح لها الفرض من وجودها في حضرته . أما عن رد جميلة على كلامه هذا فهو مبين في التقرير التالي الذي أسرع الطبيب بتدوينه في دقة ومهارة فائقة :

« .. قلت للمدعوة جميلة بوباشا أنني مكلف من لدى هيئة المحكمة للقيام بالكشف على قواها العقلية للتأكد من سلامتها أو عدم سلامتها والمدعوة جميلة بوباشا تتكلم اللغة الفرنسية في طلاقة تامة .. وقد أكدت لي إنها تلقت اشارة رسمية تخبرها بتفاصيل هذا الامر .

ثم وقفت المتهمه تقول انها تعترض اعتراضا تاما على أي كشف يجري عليها وخاصة أنها لم تتلق من اللجنة القائمة برعاية شئونها أي امر بالموافقة على ذلك .

ثم قالت لي المدعوة جميلة : لا بد أنهم « يودون بذلك خلص صفة الجنون على لاني قمت بتقديم عريضة شكوى في حقهم .

وزادت على ذلك أنني لا أستطيع مناقشتها في أي موضوع اخر لا يختص بموضوع الكشف الذي كلفت باجرائه عليها . ولكنها رفضت أن أبدا عملية الكشف على قواها العقلية . ويلاحظ أن رفضها كان يتسم بالادب والتحفظ الظاهر .

وعلى ذلك فلم يسعني سوى أن انسحب من هذه المهمة رافعا هذا التقرير معلنا عدم استطاعتي القيام بما وكل الي من مهمة بكل ما تقتضيه من نزاهة ضمير وشرف مهنة .. »

وبنفس أسلوب السيد الطبيب المذهب المتأدب كتب الى القضاة العسكريون خطابا يطلبون مني أن أبذل جهدي مع جميلة لكي توافق على اجراء الكشف عليها لمعرفة حالة قواها العقلية ..

وبنفس أسلوبهم المذهب المتأدب .. ومراعاة لمبادئ العدل والنزاهة يومسيرا على مناهج قوانيننا العادلة .. رفضت طلبهم .

وليس هناك أدنى شك في أن القضاة المدنيين في الجزائر كانوا يقدرّون فداحة المسؤولية الملقاة على كاهلهم . وهى القضاء على قضية جميلة بوباشا واخماد تأججها بأى طريقة ممكنة . وكذلك حماية ومساندة الضباط العسكريين التابعين لهيئة القضاء في الجزائر بكافة الطرق والوسائل الممكنة وانقاذ سمعة القضاة العسكريين الذين ساءلهموا قبل ذلك في التحقيق مع جميلة وفي محاكمتها . لاشك أن برنامج العمل أمام هؤلاء القضاة المدنيين كان متشعبا واسع المدى ، ثقیل العبء .

وكان الامر يتطلب البدء في تنفيذ أولى مراحل هذا البرنامج الضخم وأولى مراحله هى :

تعيين رئيس للقضاة للقيام بالمحاكمات التالية . وقاموا فعلا بتعيين هذا الرئيس . وليتهم ما فعلوا . . فلم يكن هذا الرئيس سوى القاضى بيران . هذا الذى قام بمهمة قاضى التحقيق فى أول مرة مثلت فيها جميلة أمام المحكمة العسكرية حيث لفتت لها تهمة لقاء القبيلة وحيث انتهكت أبسط قواعد العدالة ولحق انتهاكا شائنا .

وأمام هذه الكفاءة النبيلة والنزاهة الفريدة من نوعها « . التى عهدنا عليها هذا القاضى لم يسعنى سوى أن استعين بالنص ٨٤ من قانون الاجراءات الجنائية ، لاطلب تغيير هذا القاضى وقيام قاض آخر مكانه .

ووافقوا على طلب التغيير . وعينوا بدلا من القاضى بيران قاضيا آخر هو مسيو كورمانتانى قاضى التحقيق بمحكمة الجزائر الجنائية .

ولكن القاضى بيران لم ينس أن يؤدى واجبه على أحسن وجه قبل تسليم مهمته للقاضى الجديد كورمانتانى . لم ينس بيران أن يحدد موعد ٧ يونيو لىتم فيه فحص جميلة فحسا طبيا شاملا . بل وتعيين الاطباء المختصين الذين سيقومون بهذه المهمة .

والاطباء المختصون هم : الدكتور سىرو والدكتور جودار والدكتور بوناقوس ، هؤلاء هم الذين وقع عليهم اختيار القاضى بيران للكشف على قوى جميلة العقلية .

ومما يذكر ان النص ١٥٦ من قانون الاجراءات القانونية نص على ان يقوم القاضى باعلام ممثل الدفاع باختياره هذا ، قبل عملية تنفيذه حتى تسنح الفرصة للدفاع بابداء ما يراه من ملاحظات .

ولكن لم يصلنى فى باريس أية إشارة الى ذلك . وقد تمت عملية الكشف عقليا على جميلة دون علمى .

وقد حددت المهمة المكلف بها الاطباء الثلاثة

١ - تحديد طبيعة التشويه الموجود في الناحية اليسرى من صدر جميلة .

٢ - التأكد مما اذا كانت جميلة قد عانت فعلا من وضع اسلاك مكهربة على اطراف ثدييها وعلى ساقها وعلى مؤخرة اردافها واجزاء اخرى . وعما اذا كانت هناك حروق من آثار الكهرباء في تلك الاماكن .

٣ - مع تعيين ما قد يوجد على جسم جميلة من آثار الكى بالسجائر .

٣ - التأكد عما اذا كانت توجد على اى جزء من اجزاء جسم الضحية اى اثر من اثار التعذيب .

وقد قام الطبيبان جودار وبونادفوس بالرد على هذه السلسلة من الاسئلة بالقرار المختصر التالي .

١ - جميلة بوباشا مصابة في كثير من اجزاء جسمها بعلامات غامضة اللون لا يستبعد أن تكون ناتجة عن لمس اطراف السجائر المشتعلة لجسمها أو أى صلب مشتعل الحرارة .

٢ - وهى مصابة بتشويه في القاعدة الخارجية من ضلوعها في ناحية اليسار ..

وهذه هى نتيجة الكشف الطبى على جميلة ، والغريب اننى لم احط علما به الا بعد صدورها بحوالى ٣ اسابيع .. وبمحض الصدفة .

ولكن الذى يهمنى هنا هو الاشارة الى الفرق الشاسع بين هذا التقرير الذى لا يبتعد كثيرا عن الحقيقة وبين التقرير الذى سبق ان قدمه الدكتور ليفى لورى عند فحصه لجميلة في ١٥ مارس السابق .

لقد سبق ان علمنا ان الدكتور ليفى هذا هو الذى كان قد كلف بأمر القاضى بيرار للكشف على جميلة عندما تمت محاكمتها حينئذ على تهمة القاء القنبلة .

وإنكر أيضا أن جميلة قالت خلال هذا التحقيق انها لاقت تعديبا شديدا ، وأن أحد الضباط قام بالقائها على الارض وبتوجيه ضربات وحشية فوق صدرها بكعب حذائه الثقيل ، وأنها تطالب بتعيين طبيب مختص للكشف عليها .

وتم اختيار الدكتور ليفى للقيام بهذه المهمة
اوقام الطبيب المذكور بالكشف على جميلة في مدة لا تقل عن ٤ او ٥ دقائق ..

وفي خلال عملية الكشف الصاروخية هذه كانت جميلة تحاول

توجيه الطبيب الى الاصابة الشديدة الواضحة في جنبها الايسر والى
البقع والحروق والكدمات والجروح التى كانت شديدة الوضوح فى ذلك
الحين على جسمها . وكان الطبيب لا يصنع شيئاً امام ذلك سوى أن يهز
لها رأسه قائلاً فى هدوء وسكون :

«حسنا . حسنا ، طبعا ليس هذا بالامر الخطير» .

ولم يسمع جميلة سوى أن تعيد ارتداء ملابسها دون ان
تضيف كلمة واحدة .

وبعد الاربع دقائق التى قضاهما الدكتور ليفى فى فحص اصابات
جميلة المتعددة وجروحها وتشويهااتها وآثار الاعتداء الوحشى عليها بعد
اربع دقائق تماما من القيام بمثل هذه المهمة قام الطبيب بكتابة تقرير
عن حالة جميلة ويلاحظ ان تقريره لم يكن يزيد عن ١٢ أو ١٣ سطرا
على اكثر تقدير وهاهو :

«فى يوم ١٥-٣-١٩٦٠ توجهت الى القيادة الخاصة بمحكمة الجزائر
العسكرية للكشف على الأنسة جميلة بوباشا .

وهى فتاة فى الثانية والعشرين من عمرها يبلغ طولها حوالى ١٥٦
نحيلة القوام ، خفيفة البنان .

واخبرتني انها عانت من عمليات تعذيب مروعة منذ حوالى شهر
خلال استجواب سلطات البوليس لها .

وقد قمت باجراء الكشف عليها وهى مجردة تماما من الثياب .
ولاحظت أن جسمها خال خلوا تاما من أى علامة لحروق أو جروح .
وكل ما يلاحظ عليها مجرد ألم طفيف تشعر به عند الضغط على
الجهة اليسرى من جنبها .

ويلاحظ ايضا انها تعاني من اضطراب فى احوال العادة الشهرية
بسبب ظواهر معينة فى بناء جهازها التناسلى .

ولكن بعد ان قدمت جميلة شكواها فى ١٤ يونية سنة ١٩٦٠ عن
عمليات التعذيب التى عانتها وعندما قام الدكتور ليفى بالمثل امام المحكمة
مرة ثانية ، لكى يدلى بشهادته ، طلب منه أن يدلى بنفس الكلام الذى
أدلى به فى جلسة التحقيق الاولى التى تمت فى ١٥ مارس الماضى .

وجاء رده مفككا مضطربا متناقضا .

ترى كيف يفسر كل ذلك ؟

فى الواقع ان كل عيب هذه المتناقضات الفاضحة يقع آنذا على

كاهل القاضي الجديد كورمانتاني ، وكان عليه اذن ان يبذل قصارى جهده لكي يخمد انفاس هذه القضية التي اخذ صداها يزداد انتشارا .

والحق يقال ان سيادة القاضي بدأ يبذل كل ما في وسعه لو اد معالم الفضيحة التي كانت تتشعب وتتضخم .

وبالرغم من التأكيدات المتعددة التي حصلت عليها وبالرغم من كل ما بذلته اللجنة ومما قامت به « لجنة المعونة » من اجراءات لكيلا تستجوب جميلة دون حضورى بالرغم من ذلك قام القاضي كورمانتاني باستجواب جميلة اثناء غيابى في باريس .

وأول مرة قام فيها باستجوابها كانت بتاريخ ٧ يونية . وفيها طلبها بوضيح اهم ماجاء في شكواها التي قدمتها في ٧ مايو الماضي . وقد قامت جميلة بالرد على ذلك في دقة وصواب .

وفي باريس بتاريخ ١٢ يولية عقدت لجنة جميلة بوباشا اجتماعا برئاسة سيمون دى بوفوار .

وفي نهاية الاجتماع تقرر احاطة الراى العام علما بانه بالرغم من كافة الاجراءات التي اتخذت وبالرغم من الضمانات المتعددة التي قدمتها كثير من الجهاد المختصة العليا فان موضوع جميلة مازال يجد امامه اكثر من عائق . ولم يتقدم في سبيل الحل خطوة واحدة .

فأصدرت اللجنة تقريرها التالى :

١ - بالرغم من المطالبة بنقل جميلة الى فرنسا للنظر فيما قدمته من شكوى ولعرضها على اخصائيين فرنسيين فلم يتم ذلك بعد .

٢ - كما ان محكمة الجزائر تمضى في اتخاذ كل ماتراه من اجراءات قانونية في نظر هذه القضية دون ابداء اى اهتمام بمعارضة ممثلة المدافع عليها .

وعندما راي القاضي كورمانتاني ان كافة الوسائل التي اتبعها لعرقلة سفر جميلة الى فرنسا قد نفذت ، لم يسعه سوى ان يلجأ الى احط هذه الحيل .

أعلن انه لايعارض مطلقاً في نقل جميلة الى فرنسا، ولكن بشرط ان تقوم هى بالمصاريف لاتمام الاجراءات اللازمة وبالفعل اعلن انها ملزمة بدفع مبلغ لا يقل عن ١٠.٠٠٠ فرنك ان هى أصرت على تنفيذ فكرة سفرها الى فرنسا للتحقيق في شكواها ولاجراء كشف طبي عام عليها بواسطة كبار الاخصائيين الفرنسيين .

وليت الامر قد توقف عند هذا الحد لعرقلة سير قضية جميلة ، فبعد

فترة قصيرة قام القاضي كورمانتي برفع هذه القيمة حتى بلغه ١٢٠.٠٠٠ فرنك وليس ١٠٠.٠٠٠ فقط

وهنا وأمام مثل هذه الحيل الفائقة الانحطاط لم يسعني الا أن ارسل خطابا لوزير العدل استنكر فيه ماوصلت اليه حالة القضاء من مستوى مؤسف .. وان عملية كشف القناع عن الجلادين السفاحين تتطلب ان يكون المرء ذا ثروة طائلة .

واخذت الصحف تنشر انباء الفضيحة القضائية الفريدة من نوعها رئيس محكمة الجزائر الفرنسية يطلب «ثمن نقل جميلة بوباشا الى فرنسا» وجميلة ممنوعة من السفر حتى تدفع الثمن .

وقامت لجنة جميلة بجمع هذا الثمن الباهظ ودفعته لهيئة القضاء الفرنسية في الجزائر حتى تقبل تخليص جميلة من برائتها .

واخذت اخيرا جميلة مكانها في احدى الطائرات «داكوتا» المتوجهة الى باريس وكان خطابها الى قبل وصولها الى باريس رائعا في بساطته : «عزيزتي جيزيل .. اني قادمة . ولا أعرف كيف سيكون الجو في فرنسا» .

تري أي «جو» كانت تشير اليه جميلة ؟

جميلة فى سجن «فرزن»

ذهبت لشراء باقة من الورد وتوجهت بها الى باب سجن فرزن الذى وصلت اليه جميلة أمس فى تمام الساعة ١٤ مساء

وبعد مرمى بعدد من اجراءات الدخول . وصلت الى الزنزانة التى نزلت بها جميلة منذ عدة ساعات .

واثر رؤيتى نهضت جميلة من مكانها . ووقعت بين ذراعى نحتضنى ونقبلنى فى شوق وحرارة .

ووقفت السجنانة غير بعيد منا تنظر الينا نظرات مشوبة بالتعجب والدهشة فعلمنا لم تشهد من قبل مثل هذه الحرارة فى لقاء محامية بموكلتها .

كنا نريد ان نتحدث معا فى عدة مواضيع . . ولكن خيل لى ان جميلة كانت شبه مأخوذة . فها هو حلم من احلامها قد تحقق . . ها هى نى باريس . . هذه المدينة التى تنظر اليها بعين الاكبار . والتى تعقد عليها كل آمالها فى قضيتها هذه ضد جلاديتها الطفافة . والتى قرأت عنها الكثير فى كتب دراستها .

اما انا . . فقد اخذت بدورى بسحر جميلة . ولم تكن نظرات جميلة لباريس التى تشع بالاعجاب لتقل قدرا بسبب وجودها فى السجن . . وانها تشرف عليها من خلال جدرانها .

وفجأة اندفعت جميلة فى حيوية وانطلاق كانطلاق الاطفال نقول لى : - هل تعرفين كم هى رائعة الطائرة . . فهذه هى اول مرة اسافر فيها بالطائرة . . لقد رايت جزءا صغير من برج «ايفل» وانا انظر من نافذة الطائرة اثناء تحليقها فوق باريس . كم كان رائعا ، ولكن فى اثناء قدومى من المطار الى السجن بالسيارة لم استطع رؤية اى شىء على الاطلاق كانت السيارة مقفلة بصورة كاملة .

ثم اضافت قائلة فى اسف ظاهر :

- « هل تعتقدين يا جيزيل اننى ساستطيع ان اتنزه معك فى انحاء باريس فى وقت قريب ؟ .. هيه .. جيزيل ؟

ثم انطلقت تقول فى فرح غامر وقد تلاأت عيناها الجميلتان الحزراوان بيزريق ساحر :

وأخيرا .. أخيرا! سأستطيع رؤيتها .. سيمون دى بوقورا ،
بربك يا جيزيل أخبريها اننى اود من كل قلبى أن اتعرف عليها .
ربدأت تداعب باقة الزهور التى أحضرتها معى وهى تقول :

— هذه أول زهور تقع عليها عيناي منذ .. منذ ان غادرت بيتنا
فى دير ابراهيم .. لى منذ .. وأخذت تعد الشهور على أصابعها وتتمتم
سأهمة .

— سجن البيار فى فبراير . سجن حسين داي فى فبراير أيضا
ومرة أخرى فى سجن البيار فى شهر مارس .. ثم سجن باريسوروس
فى ١٥ منه»

ثم بدأت تحدثنى عن النصر الذى استطعنا أن نحزره بفضل مجهودات
اللجنة وبفضل كل من انضموا اليها بأصواتهم وتعاضيدهم ومساندتهم .
وقلت لجميلة انه من المنتظر ان يقوم خمسة اطباء من باريس بعملية
الكشف عليها فى القريب العاجل وعلى وجه التحديد فى ١٨ يولية . اى
التاريخ الذى حده القاضى كورمانتانى فى الجزائر . فقاطعتنى
جميلة منفعلة .. :

— اوه .. ياله من مخلوق! تصورى اننى كنت كلما بدأت اقول له
اننى لاقيت عمليات تعذيب قاسية ، فانه يحدجنى بنظرات نارية شريرة
ويقول لى «احترسى .. انك تقولين اشياء خطيرة .. خطيرة جدا ..
ولدا احترسى .. احترسى جيدا» . وكنت اجيبه اننى اقدر جيدا
خطورة القضية بأكملها ، ولكنى لا اقول سوى الحق .

ثم نهضت جميلة من مكانها وأخذت تسير فى حركات صارمة مهددة
مقلدة امالى القاضى كورمانتانلى وهو يرد عليها بقوله :

والان .. هل انت مصرة ؟ .. حذار .. ثم حذار ، هيه ، هل انت
مصرة ؟ ثم اندفعت تتسائل فى انفعال :

— ماذا تعتقدين انه كان يعنى بكلامه هذا ؟ ماذا كان يريد على وجه
الدقة ؟ .. أن أسحب شكواى ؟

فأجبتها واثقة:

— «مستحيل .. لا بد ان تعرضى هذه الشكوى هنا على قضاء باريس»
وقلت لها :

ان الاطباء الخمسة الذين سيقومون بمهمة الكشف عليك هم البروفسور
لاتيوجول والبروفسور فانك برينتاتو وأستاذ طب النساء دوبرارت
وأستاذ علم الامراض الجلدية كيرستيانسى والدكتورة الاخصائية فى
امراض النساء والامراض النفسية هيلين ميشيل ولغروم .

هذا وقد وجهت لكل من هؤلاء الاخصائيين الكبار مذكرة مختصرة
ابين فيها ظروف الحالة التى مرت بها جميلة والملاحظات الرهيبة التى
دهشتها فى سجون البيار وسجن داي . كما اوضحت لهم اهم الملاحظات
التى توصل اليها كل من الاطباء الثلاثة الذين قاموا اخيرا بتوقيع الكشف
على موكلتى فى سجن الجزائر وهم : الدكتور جودار والدكتور سيروت
والدكتور يوناتوس . والنتيجة التى توصل اليها الاطباء الثلاثة بعد
فحصهم لجميلة فى الجزائر هى :

١ - انها مصابة فى معظم اجزاء جسمها بعدد كبير من الآثار والتشوهات
الجلدية التى لا بد أن تكون ناتجة عن كيمها بالنار .

٢ - انها مصابة بتشويه فى الناحية اليسرى من صدرها .

ثم بينت فى مذكرتى كافة الاضافات المذكورة بالطريقة المفصلة الآتية

النقطة الاولى :

ثبت ثبوتا قاطعا وجود آثار حروق على اجزاء عديدة من جسم
جميلة . وستساعد التحليلات التى ستجرى على عينة من بشرتها لاثبات
مدى قوة هذه الحروق ودرجة خطورتها واتساع مساحتها بالنسبة
بالنسبة للاجزاء الاخرى من الجسم التى بدون اصابة .

كما ثبت ايضا ان جميلة مصابة فى أعلى ساقها اليمنى وفوق ثدييها
بآثار حروق أكثر اتساعا وعمقا من الآثار الموجودة فى بقية اجزاء الجسم .
والمرجو عند اثبات وجود الآثار التكرم بتحديد سبب اختلاف هذه
الآثار عن آثار الحروق الاخرى المنتشرة فى جسم جميلة . فانا لا اعتقد
مطلقا ان هذه الحروق الموجودة على الثديين وعلى الساق اليمنى كغيرها
من الحروق الاخرى عن الكى بالمجائر . . كما اثبت ذلك الاطباء
جودار وسيروت وبمونافوس فى قرارهم .

النقطة الثانية :

تشكو جميلة دائما من آلام مبرحة فى الجهة اليسرى من صدرها . .
والمكان الذى تشكو منه يبدو واضح التسورم .

ويلاحظ ان تقرير الاطباء الثلاثة لم يحدد مدى خطورة هذه الحالة
ولا سببها

وتؤكد موكلتى انها اصيبت بهذه الاصابة فى الجهة اليسرى من

صدرها بسبب الضربات القوية التي تلقتها في هذا المكان من قبضات اليد وكعوب الاحذية الثقيلة .

فهل سيساعد الكشف في هذه المرة على تأكيد اقوال جميلة ؟
وبعد أن قرأت على جميلة هذه المذكرة التي سأعرضها على الاخصائيين
الخمسة غادرتها لاعداد اليها في صباح اليوم التالي .

وكنت احضر اليها كل يوم وأتناول معها طعام الافطار المكون من
سندويشات دجاج وقهوة ساخنة احضرها في حقيبتي . ولكن جميلة
كانت تبدو ساهمة حزينة . فالوقت يمر ولا تبدو اية معالم لرغبتهم في
اجراء الكشف عليها .

وخاصة ان الوقت يعتبر ذا قيمة عظيمة بالنسبة للاصابات الموجودة
في جسم جميلة . فان الوقت يعمل على محو آثارها شيئاً فشيئاً .

وبدأت اقوم باجراءات متعددة للتعجيل بهذا الكشف

اما الصعوبات والعراقيل القانونية التي كانت تقف عقبة في اجراء
هذا الكشف فكانت ناتجة طبعاً عن هيئة القضاء في الجزائر .

وفي النهاية وبعد مجهودان طائلة من اللجنة للتعجيل باجراء الكشف
ومن هيئة القضاء بالجزائر لوضع العراقيل في طريقة لتأخيره أو عدم
اتمامه ، أخيراً .. قرر المسيو بروسيت قاضي محكمة السين أن يقوم
الاطباء المتخصصون باجراء كشفهم على جميلة .

وفي أحد الايام اتصلت تليفونيا بالطبيبة هيلين ميشيل ولفورم
الاطباء المتخصصون باجراء كشفهم على جميلة .

كانت الطبيبة قد أمضت عدة ساعات في التحدث مع جميلة بزئزانتها
في سجن فرزن . قالت لي الطبيبة :
- هذه الفتاة غير قادرة على أى كذب أو خداع ..

وعندما رددت عليها بقول اننى كنت على يقين تام بصدق جميلة في
كل ما قالت أجابتنى الدكتورة هيلين ميشيل ولفورم بسرعة :

- لا تحاولي اقناعي بشيء أنا شديدة الاقناع به .. اننى واثقة ١٠٠٪
بأنها عانت من كل ما ذكرته من أنواع التعذيب .. ليس عندي أى شك
في ذلك مطلقاً ..

ثم اضافت ونبرات صوتها تشع صدقا وذكاء :
- « خسارة » .. انها فتاة رائعة .. رائعة في طهارتها .. رائعة في
صدقها ونزاهتها :

ومضت تقول:

ولكنى أؤكد لك أنك وضعتنا جميعا بقبضتيك هاتين في مأزق صعب للغاية قد لا نستطيع الخروج منه .. يا لها من مشكلة .. وأى مشكله حقا أما المشكلة التى كانت الدكتور تود الإشارة انيها فقد علمت بها أخيرا .. كان الاطباء الخمسة الموكلون بالكشف على جميلة يجدون صعوبة قصوى فى الاتفاق فيما بينهم اتفاقا كاملا .. لتدوين قرارهم الجماعى عن حالتها .
لماذا ؟ ...

لأنهم كانوا يقدررون مدى الضجة الهائلة ورد الفعل الشديد الذى قد يسببه اعلان الحقائق الضخمة فى تقريرهم .. واجماعهم عليها .

كان أحدهم يريد توضيح الحقيقة بكامل حذافيرها ، ويوضحها عارية يشعة كما شاهدها على جسم جميلة ، فيرد عليه واحد منهم :

— لعلك تريد أن تقع صريعا برصاص بعض المتطرفين .
والنتيجة ؟ ..

تعارض . تعارض شديد ، تلقاه القاضى بروسيت بتاريخ ١٥ اكتوبر فى هيئة تقرير من الاطباء الخمسة عن حالة جميلة بوباشا .

والجزء الاول من هذا التقرير المتناقض يبين حالتها الصحية العامة :
وهى مرضية .

ثم تقرير عن حالة جلدها : يثبت انها مصابة على كتفيها وعلى ساقيها ببقع غامقة اللون . ومن الغريب حقا ان الدكتور روبيراز (أحد الاطباء الخمسة) قد قرر ان هذه البقع الجلدية غير ناتجة عن حروق بالكهرباء أو بنار السجائر ..

وقد ذكرت أننى طالبت كتابيا الدكتور روبيراز باجراء تحليل على هذه البقع لمعرفة سببها ولكنه لم يفعل .. كما انه لم يذكر سبب وجود هذه البقع التى أشار اليها .

أما الجزء الثالث من التقرير فيؤكد وجود اصابة متورمة فى الناحية اليسرى من صدر جميلة ، ولكن الطبيب كريستيانس ذكر حرفيا فى التقرير : « ولا يستبعد ان تكون هذه الاصابة ناتجة عن ضربات عنيفة .
كما لا يستبعد أن تكون عاهة طبيعية (١) .

أما الجزء الاخير من التقرير فقد قامت الطبيبة هيلين ولفورم بتدوينه، وفيه أشارت الى حالة جميلة النفسية قائلة :

(١) لم تكن جميلة باى عاهة فى صدرها قبل أن يقبض عليها وقد أثبت ذلك فى محضر تحقيق قضية محاكمتها بقلم قاضى محكمة « كايان » بباريس .

» تصرفاتها وطريقة تعبيرها تدل على حسن تربيتها وسمو صفاتها
ويلاحظ على معظم اجاباتها البساطة المحبة والاستعانة بجمل طبيعية غير
منمقة . كما ان جميلة تميل الى التحفظ والتأدب في تصرفها . وانها متدينة
الى أقصى درجة ممكنة .

أما من الناحية العصبية فحالتها غير مرضية فانها تعاني من الشعور
الدائم بالحزن والألم ، كما أنها تخضع لكثير من المعتقدات والافكار خضوع
المأخوذ المسحور ..

فمثلا صوت رنين مفاتيح الابواب يقترب لديها بالشعور بالتعذيب الذي
لاقتة خلال استجوابها . كما انها تقوم عند مطالعتها الصحف بالتنقيب في
نهم واهتمام حار عن اسم كل مواطن جزائري يتم القبض عليه أو اعدامه .

القاضي وآلة التعذيب

في يوم ٢٢ يونيو غادرت جميلة سجن قرزن الى سجن «ليزيو» .
وقضت جميلة في سجن «ليزيو» هذا أسوأ أيام حياتها . كانت
مُعزلة منفردة انفراداً تاماً . . ولا يقدم لها سوى أسوأ أنواع الاغذية .
ولا تتمتع بأي امتياز . يتمتع به المسجون السياسي مثل التنزه في حديقة
السجن أو قراءة الكتب ومطالعة الجرائد والحصول على ما تبتغيه من كتب

وكان القاضي مسيو شوسيري - لابريه قد حدد يوم ٢٧ يونيو
لاستجواب افراد عائلة بوباشا أي والدة جميلة ووالدها وزوج اخنها .
وكان القاضي يعتبرهم كشهود مهمين في قضية تحقيق اشكوى لان
أغلبيتهم قد مروا بعمليات تعذيب سجن البيار .

وأما عن عبد العزيز بوباشا والد جميلة وعبد الحميد زوج شقيقتها
نفيسة فقد وقعا أيضا تحت طائلة سلسلة منكرة من التعذيب والارهاب
ولذا قاما كذلك بطلب التحقيق في شكواهما عما عانياه من تعذيب . وقدا
شكواهما الى محكمة الجزائر ولم يكن من المستغرب عندئذ الا يسير
التحقيق سيرا خثيثا ، ومثلما حدث في قضية جميلة تقرر نقل قضية عبد
العزيز بوباشا وعبد الحميد من أيدي رجال القضاء بالجزائر الى هيئة
القضاء المكلفة بنظر قضية جميلة بباريس .

ووجد مسيو شوسيري لابريه نفسه مكلفا بالتحقيق في القضايا الثلاث
كقضية واحدة بشرط أن ينفرد ملف كل منها عن الآخر . وذلك للتطابق
التام في أحوال كل منها وفي الظروف والاماكن وعمليات التعذيب . . .
والاشخاص الذين قاموا بالتعذيب . .
وكان من المقرر أن يتم نظر القضية الثلاثية المتداخلة بمحكمة
« كايان » .

وفي ٢٦ يونيو وصلت الى مدينة كايان في صبيحة يوم مطير رطب
وفي خلال الفترة السابقة كانت عائلة بوباشا بأكملها قد وصلت الى باريس
وعندما تقابلت مع نفيسة في مدينة كايان بالفندق الصغير الذي كانت تقيم
فيه هي ووالدتها قالت لي انها تود رؤية زوجها عبد الحميد واستفسرت
عما اذا كان من المستطاع السماح لها هي ووالدتها بمقابلة جميلة في سجن
«ليزيو» وهتفت بي والدة جميلة :

« لم أعد أستطيع . . جيزيل . . أرجوك أود رؤيتها لقد أوحشتني
كثيرا . . عاما كاملا لا أرى خلاله حبيبتي ؟؟ »

وبعد أن تركت جميلة نفيسة ووالدتها توجهت الى مقر قاضي التحقيق
المسيو شوميري لابريه . لا قدم له نفسي .

وحالما دخلت مكتبه قام سيادته لتحييتي في تأدب جم . وقد لاحظت
خلال حديثي الاول مع المسيو شوميري انه يؤمن ايمانا راسخا بقدرسية
مهنته .

لقد قبل مسيو شوسيرى التكفل بنظر قضية بوباشا المتشعبة قبل ذلك في ثقة وإيمان واعتداد كامل .. دون أن يولى أى اهتمام لما يروق « السلطات العسكرية المختصة » أو يتفق مع التيار السياسى السائد حيال الجزائريين . لم يكن مسيو شوسيرى ليساوره أدنى قلق من خطورة المهمة التى يضطلع بعبئها . لم يهتم بالرغم من ثقته أن المتهمين فى قضية بوباشا حفنة من الضباط الفرنسيين - وأن المجنى عليهم بعض أعضاء جبهة التحرير الوطنى الجزائرية . لم يكن كل ذلك ليشوب مفاهيمه أو معتقداته المهيمنة ..

ولكن كل ما كان يعرف ويضع نصب عينيه دون الاهتمام بأى شيء آخر هو : أنه سيقوم بالتحقيق فى هذه القضية تحقيقا نظيفا نزيها يتيح له أن يكشف الستر عن الجناة ، والاشارة بأصبع الاتهام نحو المسئولين الفعلين . كان يعتقد اعتقادا جازما ويؤمن ايمانا لا يتزعزع بأنه مكلف بالقيام بهذا العمل كما يعمل أى اخصائى آخر للحصول على ما يبتغيه من نتائج . وأما هو فكان اخصائيا فى البحث عن العدالة والصدق بأجلى واكمل معانيها .

لقد امضى مسيو شوسيرى أياما عديدة فى دراسة ملفات القضية وبحثها بحثا مستفيضا وافيا . وبعد ذلك قام بوضع ملاحظاته عنها فى هيئة جدول كبير مكون من عدة أقسام طويلة . ولون كل قسم من هذه الأقسام بلون يختلف عن الآخر تبعا لكل شاهد من الشهود ولم ينس أن يضع الأسئلة اللازم توجيهها مع توقع ما يمكن أن يكون من متناقضات فى أقوال بعض الشهود . وعين كثيرا من النقاط التى تستلزم توضيحا خاصا وقام بعد ذلك بالصاق كافة هذه العناصر مع محتويات جدول القضية بحيث تكون معدة أثناء السؤال المناسب والشاهد المناسب . واللحظة المناسبة .

لقد تعمق فى بحثه وتمحيصه ودراسته ولم يترك كبيرة ولا صغيرة فى القضية الا وأشبعها تحليلا ودراسة . كان يعمل فى جسد واهتمام نادر المثال . دون أدنى خوف أو رهبة أو تردد لأن غايته الوحيدة التى كان يعمل للوصول اليها لم تكن سوى .. الحقيقة .. الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة .

ولم يكن قد قابل جميلة بعد . ولذا فقد قال لى أثناء زيارتى له : واعتقد انها ذكرت الحقيقة فى موضوع التعذيب هنا .. ومع ذلك فأنا أريدها أن تجيب على كل ما أوجهه اليها من أسئلة . أريد ذلك حتى لو بدا لها أو لك أن هذا الامر غير متوقع .. اننى أعرف ما أود الوصول اليه ...

فاخذت مسيو شوسيرى لابريره قائلة ان جميلة ستقوم بالاجابة على كل ما يوجهه اليها من أسئلة . فهى لاتعرف الكذب وستساعدنا . ولكنه أضاف فى شيء من التردد :

« أعتقد انها على شيء من ال... لا أريد أن أقول انها متبجحة...
جريئة... ولكن... »

وهنا رأيت أن أوضح لسيادته حقيقة جميلة فقلت له : انها ليست
وفحة أو متبجحة... أبدا ولكنها مواطنة مجاهدة تؤمن بقضية بلدها وبحقه
المقدس في التحرر والاستقلال . ولذا فهي ترى انها غير ملزمة باستعطاف
القضاء الفرنسي عندما تطلب منه مقاضاة من أوقعوا بها . مثل هذا
العذاب لا لذنب جنته إلا انها مجاهدة من أجل وطنها وتؤمن
بضرورة استقلاله وتحريره .

وهي تعتقد انها بمطالبتها بذلك لا تطالب إلا بحقوقها كمواطنة حرة .
ولا شك انها ستجيب في ثبات وقوة قائلة انها تناضل وتكافح من أجل
الجزائر لو وجه لها سؤال عن الهدف الذي ترمى اليه من وراء كفاحها
الوطني .

وهذا شأنها هي ، وأنا لا أستطيع أن ألومها على ذلك . . . ولكن الذي
يهمني أنا وأريد التحقيق فيه هو موضوع التعذيب . .

وفي اليوم التالي عقد مسيو شوسيرى أولى جلسات التحقيق في
الشكوى المقدمة من جميلة بوباشا واستمر استجوابه لجميلة طيلة
هذه الجلسة ابتداء من الساعة التاسعة صباحا حتى الساعة ٢٠ مساء
وخلال فترة الصباح بأكملها كانت الاستجابات تقـوم
خاصة على ما حدث لجميلة في سجن البيار .

كان القاضي يضع أمامه جدولته المنظم . وينظر فيه بين لحظة وأخرى
ليلهب « المجنى عليها » الواقعة أمامه بسيل لا يتوقف من الاسئلة المتتابة
كان القاضي شوسير يهمله هدم التحقيق القديم الفاسد وازالته عن
آخره ليقيم بناء آخر جديدا من صنعه هو - لا أثر فيه للشك والضلال
والريبة !... »

وفي فترة بعد الظهر بدأ مناقشة ما كان يدور في سجن حسين داي
حيث كان يتم التعذيب باجلى وأبشع معانيه . ليس مجرد صفعات
رنانة على الوجه أو ضربات قوية على الرأس . لا . .

في سجن حسين داي كان التعذيب يتم بواسطة الاسلاك الكهربائية
والاغراق في الماء . . و . .

وفجأة وجدت جميلة تتوقف تماما عن الكلام والآلة الكاتبة الصاخبة
الصوت التي كانت « تصيح » تحت لمسات كاتب الجلسة السريعة توقفت
هي الأخرى . . والقاضي نفسه توقف عن الانصات لما كانت تقول جميلة
وشحب لون جميلة وأصبح أقرب الى البياض في شحوبه واعتقدت أنا انها
تعاني من بعض الألم في جسمها .

كان القاضي قد غادر مكانه بضعة لحظات وأحضر على مكتبه آلة

عجيبة ذات شكل غريب • انها تميل الى الاستدارة • وهى ضئيلة الحجم •
ويتصل بها حلقة دائرية يتشعب منها عدد كبير من الاسلاك •

كان القاضى يرشق جميلة بنظرات ثابتة • وجميلة تنظر الى الآلة
نظرات مآخوذة حادة •• ولون بشرتها يزداد شحوبا فوق شحوبه عندما
ارتفع صوت القاضى يقول لها بعد صمته الطويل وهو ما زال يحسب فى
وجهها :

— وهذا ••؟ هل تعرفين ما هو ؟

ولم أعد أفهم ما يدور أمامى ! •• ما الذى يريده القاضى بانضبط ••
وهذا •• ما هو حقا ؟

فلم أكن قد شاهدت هذا الشيء من قبل •

ولم ترد جميلة • بدت عاجزة تماما عن النطق • وكل ما كانت تفعله
هو الشخصوس كالمذهولة نحو مكتب القاضى •• ونحو « الشيء » الموضوع
فوق مكتب القاضى وتعالص صيحة القاضى مرة ثانية :

« حسنا قوى لنا ••؟ هل رايت « هذا » من قبل ؟ وسكت ومضت
جميلة فى ذهولها وصمتها العميق •• ومضى القاضى فى تكرير سؤاله
عليها • وفجأة اندفعت جميلة واقفة وصاحت فى صوت مرتفع « انها هى
•• هى الآلة التى عذبونى بها •• انها هى بأسلاكها المكهربة ا » •

وبدأ مسيو شوسيرى لابرية يدير الآلة فأوصلها بالتيار الكهربائى
وطلب منى أن أجرب سلكين من سلوكها العديدة المدلاة منها كأذرع
الاطبوط طلب منى أن اضع السلكين على يدى فرفضت
فى استنكار •

وأبدى كاتب الجلسة تطوعه لاجراء التجربة وأخذت يد القاضى
تدير العجلة ببطء بعد أن وضع طرف الاسلاك على يديه وهو يوجه سؤاله
لجميلة قائلا : هكذا يا جميلة أحيانا ببطء •• وأحيانا بسرعة كبيرة •
وأخذ كاتب الجلسة يبدى تأله ويرتعش بشدة عندما زادت سرعة
العجلة •

أما جميلة فكانت تنظر للآلة كالمآخوذة وتتمتم بطريقة آلية :

« نعم ••• نعم هكذا » ••

وأنهى مسيو شوسيرى لابرية تجربته وقد وضحت علائم الرضاء
والارتياح على ملامحه •

كان يريد من وراء ذلك الوصول الى أعماق جذور الحقيقة والصدق
فى نفس جميلة • ووجد أن طريقته هذه هى التى تمكنه من ذلك ففضلها
عن مجرد الاستجواب العادى •

وكان التعبير الذى وضع على سمات جميلة وهى ترى الآلة • ورد
الفعل الذى طرأ عليها حينئذ بمثابة الدليل الراسخ على صدق أقوالها •

ووجه القاضى كلامه لجميلة قائلا :

هدئى من روعك .. وأشمض فيما كنا بصددده .. فى سجن حسين
دأى .. ومضت جميلة تتم حديثها السابق . وتعدد وقائع التعذيب
المتتابة . أولا الصفعات والركلات والشتائم النابية والضرب القاسى - ثم
التعذيب بالكهرباء .. ثم عملية الاغراق فى مياه البانيو ...
وهنا قاطع القاضى قائلا فى حدة :

كيف تتم هذه العملية الاخيرة . سنرى ذلك .. وبدأت جميلة تفسر
ذلك ولم يكن من السهل وصف ذلك الوضع وكيف أوثقوا سساقياها
وقدميها ثم طرحوها على الارض ومرروا عصا خشبية غليظة بشكل
انقى بين رسغيتها وقدميها المربوطتين أى بنفس الطريقة التى يعلق
بها الصيادون ما يقتنصونه من خنازير برية أو غزلان ! .. ويقوم اثنان
من الضباط القائمين على تعذيبها بحمل العصا من طرفيها .. وينقلون
جميلة بهذا الوضع الى البانيو الموجود فى وسط الحجرة والمملوء
لحافته بالمياه المثلجة . ويقومون بتركيز طرفى العصا الطويلة على طرفى
البانيو بحيث تكون جميلة غارقة فى المياه بأكملها .

وهنا سألها القاضى فى شيء من الانفعال « هل تجيدين الرسم ؟ »
لا يكفى الكلام مطلقا هل تستطيعين أن ترسمى بالضبط الوضع الذى
كنت عليه .

ولم تكن تجيد الرسم ...

وهنا اتصل القاضى تليفونيا ببعض مصورى التحقيق القضائى الذين
حضرُوا فى أقل من ١٠ دقائق حاملين معهم آلاتهم الفوتوغرافية .

وتوجهت أنا الى مزحاض جانبى وأحضرت منه مكنسه وفوطيتين . وقمت
بمساعدة كاتب الجلسة بشد وثاق أحد المصورين (النحيفى القوام طبعا)
وعلقناه بنفس الطريقة التى ذكرتها جميلة . مع استبدال البانيو بمقعدين
متباعدين . وفى تلك الاثناء كان المصور الآخر منهمكا فى التقاط عدة
صور لزميله وهو فى هذا الوضع . واختار له أكثر من زاوية مناسبة
لتصويره منها .

ولم يكن القاضى قد تحرك من مكانه وكذلك كانت جميلة . التى أخذت
تشرح سير العملية . ويلمسه بسببته على جبهتى كانوا يفرقوننى فى الماء
فأشعر بالاختناق والغرق فيقولون لى سآخرين .. عندما تشعرين بالرغبة
فى الكلام ارفعى أصبعك الصغير ... ولم أشعر برغبة فى الكلام ولكنى
شعرت بنفسى أختنق وأغوص فى الماء .. وفى المساء وجدت نفسى مكومة
فى ركن من زنازتى وأنا عارية تماما من الثياب وبجوارى كومة ملابسى ..
كأنت جميلة تشكلم فى هدوء . ولكن هدوءها هذا كان يشع منه
شيء ما تقشعر له الابدان .. كانت تشكلم وهى ساخنة محمقة
فى .. فى لاشيء ..

أما القاضي فقد كانت علامات السرور البالغ تبدو واضحة على أساريره المنبسطة بسبب ما أصابه من نجاح في الحصول على ما كان يرغبه من نتائج بطريقة عملية فعالة ولذا لم يحاول أبدا أن يقاطع جميلة أثناء حديثها الهادئ المخيف .. كان يتعمق في النظر اليها ويحدق فيها بعيون ثابتة وهي ماضية في حديثها .. ثم رفعت الجلسة لتعقد في اليوم التالي في تمام الساعة التاسعة صباحا لسماع اقوال الشهود والمقارنة بينها .

حضرت الى قاعة المحكمة في تمام الساعة الثامنة والنصف . كانت عائلة بوباشا باكملها حاضرة هذا اليوم .

وقد حدث ما كنت أتوقعه وما كنت شديدة الثقة به فعندما قام القاضي باستجواب جميلة بوباشا ثم أبيها ثم امها ثم اختها ثم زوج اختها لم يلحظ أي تناقض بين اقوالهم او أي كذب طفيف في اقوال أي واحد منهم .

في ٢٩ يونيو قام القاضي شوسيرى لابرير قاضي قضاة محكمة كابان بتوجيه مذكرة للسلطات القضائية بالجزائر تحتوي على عدد من الاسئلة الواضحة .. التي تحتاج الى ردود واضحة !

وقد أعد هذه المذكرة اعدادا وافيا ممتازا . وركز فيها الاهتمام على ما يطلب من معلومات معينة .

كانت تحتوي على أدق النقط التي تحتاج ايضا : أسماء الضباط .. ورتبهم وصورهم وبعض التواريخ .. والاحداث ..

وبذا استطاع هذا القاضي القدير أن يحدد في دقة متناهية أسماء الجنود والضباط ، وأعضاء البوليس القضائي الذين ساهموا في مأساة تعذيب عائلة جميلة بوباشا . بل استطاع أن يحدد في مهارة وحنق بالغ مدى درجات مساهمتهم في أعمال التعذيب والوقت الذي قاموا فيه بعملهم

واستطاع هذا الاختصاصي في التنقيب عن الحقيقة أن يضع كل واحد من هذه المخلوقات في مكانها المناسب كما يفعل أي اختصاصي في علم الحشرات فيضع كلا منها في موضعه المحدد ويمنحه وظيفته المعينة في إطار حقل التجربة التي يقوم بها ..

وكانت النتائج التي يوصل اليها قاطعة باترة .

ولكن بقي عليه أن يقوم بعملية مضاهاة شخصية المتهمين ، بما يلزم ذلك من جبر فو توغرافية وتقارير متعددة .

وطبيعي أن تقوم السلطات القضائية بالجزائر بوضع كافة الصعوبات الممكنة لكي لا يحصل قاضي محكمة كابان على ما يطلبه من معلومات بخصوص هؤلاء الجنود والضباط وقد فعلت كل ما يمكنها في تسهيل ذلك .. ولكن ..

الاجراء النهائي

... كان من المحدد معاودة اجراء التحقيقات فى تاريخ ٧ و ٨ نوفمبر بمدينة كابان .

وكانت جميلة ابتداء من هذا الشهر قد بدأت هى وعدد كبير من المواطنين والمواطنات الجزائريات ، بدأت معهم تمتنع امتناعا تاما عن تناول أى طعام .

وعندما دخلت عليها زنزانتها بسجن ليزيو لاحظت عليها الاعياء والضعف الشديد الذى كانت تعانيه نتيجة لامتناعها عن تناول أى غذاء وكانت راقدة لا تقوى على الوقوف على قدميها .

كانت حجرتها فى حالة يرثى لها من القذارة والاهمال .. شديدة البرودة خالية من قطرة ماء أو جهاز تدفئة يخفف من حدة الصقيع القارس فى مثل هذه الآونة من العام . وأخبرتني جميلة انها لا تتلقى أية عناية أو رعاية وهى راقدة . وخاصة انها بدأت تعاني فى ذلك الحين من اضطراب فى قلبها .

وكنت قد أحضرت معى والدتها وشقيقتها لكى يتمكن من رؤيتها . ولما رأت مدام بوباشا ابنتها فى هذه الحال المؤسفة من الضعف والهزال اندفعت نحوها مادة ذراعيها وانهاالت عليها تقبلها فى حرارة وشوق والدموع تنهمر من عينيها . وهنا اقتربت الحارسة التى كانت ترقبنا من بعيد وصاحبت فى حدة :

— ممنوع .. التقبيل ممنوع .. حسب الاوامر .
واضطرت الى أن تبتعد عنها .. حسب الاوامر ! وبدأت الفتاة الواهنة تترنح ضعفا وهزالا فى وقفاتها المنفردة وصاحت فيها « السجانة » :
— ابتعدى هيناك .. وراء القضبان !

وشعرت عندئذ بنيران الغضب والثورة تعتمل فى صدرى . وأخذت أقوم بعدة اتصالات تليفونية مع السلطات المختصة فى باريس ومع الادارة الإقليمية للسجون ومع قاضى محكمة كابان المسيو شوسيرى لابرير .
كنت أصيح فى كل هؤلاء والسبع تكاد تطفر من عيني :

— جميلة أليس لها الحق فى أن تقبل أمها ...

فيردون على جميعها :

— ممنوع ... التقبيل ممنوع .

فى هذه اللحظات بدأت جميلة تعاني من انهيار جسمى وعصبى فلم تعد تتحمل أكثر من ذلك . وانخرطت فى بكاء مرير متواصل ولكنى ...
لم انس مفاديرة جميلة فى حجرتها المذرية فى سجن ليزيو لم انس أن

أحرر مذكرة بكل «أرايته من أهمل سوء رعاية وقسوة معاملة في هذا السجن وأرفعها لوزارة العدل . وفي مساء نفس اليوم صدر أمر بنقل جميلة من سجن ليزيو الى مستشفى كابان . ولم تعد اليه مطلقا بعد ذلك

كان من المقرر أن يحدث في هذه المأساة المؤلمة التي مرت بها جميلة كما يحدث في كل مأساة مثلها . . . أي ما لم يكن متوقعا ! .

وقد حدث الأمر الغير متوقع في مأساة جميلة ! . . . حدث عندما وصلت عقدة المأساة الى ذروتها . حدث في ٧ نوفمبر ! . حدثت المفاجأة التي قلبت كل المؤامرات والندبيرات والخدع التي كان « المتهمون » يحيكونها ، رأسا على عقب .

المكان قاعة محكمة كابان . . .

الحاضرون قاضي محكمة كابان المسيو شوسيري لابرير جالسا أمام المنصة . وعلى مقربة منه أخذ كاتب الجلسة يداعب آله الكاتبة بأصابع سريعة مجحومة حسب ما تسمعه أذناه من كلام وتنقله اليها والآلة ترسل صوتا رتيبا متقطعا ساخرا من هول ما تشعر من حقائق . . . وفي وسط القاعة وأمام منصة القاضي وقفت الشاهدة . . .

والشاهدة هي . . .

زينب العمروسي ! . . زينب التي ذكرنا قبل ذلك انها لم تكن سوى «جاسوسة يستعين به العسكريون الفرنسيون للتجسس على ضحاياهم الجزائريين المسجونين ! . . زينب العمروسي التي باعت ذمتها أكثر من مرة ووقفت أمام قضاة الجزائر بعد أن أقسمت اليمين على صدق قولها ، وقفت لتؤكد ان جميلة لم ينلها أي تعذيب أو ارباب ، وانها كانت تجد معاملة حسنة من « جلاديهما الضباط . . . زينب العمروسي التي أكدت أثناء محاكمة جميلة أمام محكمة الجزائر انها لم تلاحظ عليها أثناء اقامتها معها في زنزانتها أي أثر من آثار التعذيب زينب هذه وقفت هذه المرة أمام قاضي محكمة كابان . . لتفضي اليه بالحقيقة . .

قالت للقاضي انها قد أرغمت على الادلاء بما أدلت به من أقوال كاذبة عن جميلة أثناء محاكمتها . قالت له انها كذبت في كل ما قالت له لقضاة الجزائر بخصوص جميلة . . وقالت له ان جميلة عذبت . . عذبت بأشنع صورة يتصورها العقل . . قالت له انها أحضرت ذات مرة الى الزنزانة التي كانتا تقيمان فيها معا وهي مضرجة بالدماء ، وملابسها الداخلية قد تحولت كلها الى لون أحمر قان من هول ما سال عليها من دماء . . وان أحد الحراس القاها في هذه الحالة في أحد أركان الحجرة وهو يقبول لها في وحشية ساخرة :

«وهذا هو خروف العيد» وقالت أنها استمرت طيلة ثلاثة ايام كاملة بعد هذا الحادث تعنى بجميلة التي فقدت وعيها طوال هذه المدة .

وعندما سألها القاضي عن أسماء الضباط الذين كانوا يصحبون نقل جميلة الى زنزانتها بعد حادث الاعتداء الوحشي اجابته دون تردد « الليوتنانت » والضابطان «ت» و «ج» .

وهنا أراد القاضي أن يتعمق في الحصول على الحقيقة فخرج لها مجموعة كبيرة من الصور وطلب منها أن تشير الى واحدة منها ففعلت ذلك بسرعة وبدون تردد . وأردفت قائلة « اننى اقوم بالشهادة من اجلهم حسب اتفاق بيننا لانهم كانوا يعدوننى دائما بالافراج عني وبالتغاضي عما ألصق بى من تهم » وكانت زينب متهمة بالسرقة .

وبالفعل عندما قامت زينب قبل ذلك بالادلاء بشهادتها الملفقة أمام القاضي تورماتانى بالجزائر ، بتاريخ ١١ يونيو سنة ١٩٦٠ ، فى خلال هذه الشهادة الزور قالت زينب للقاضي تورماتانى أن جميلة كانت مرحلة سعيدة أثناء اقامتها بالسجن ٠٠١ وانها كانت تبدو عليها دلائل الجنون والخبل فى كثير من الاحيان .

وبالرغم مما أدلت به زينب من شهادة ملفقة أمام محاكم الجزائر فقد كانت جميلة مصرة على احضارها الى باريس لكى تقدم شهادتها مرة أخرى أمام قاضى كابان . وكانت جميلة تقول :

— ان زينب لم ترنى منذ أن غادرت مركز التعذيب وأعتقد انها عند ضجابتى هنا لن تستطيع الكذب ...

وبالفعل كشفت زينب عن حقيقة الدور الذى كانت تقوم به مع رجال البوليس عندما علموا باستدعائها للشهادة فى محكمة كابان بباريس فحضروا اليها فى السجن فى ليلة ٣ نوفمبر وقالوا لها حرفيا :

« .. عليك للمرة الثانية أن ترددى أمام محكمة كابان ماسبق أو طلبنا منك قوله : « جميلة مصابة بالخبل والجنون » .. »
فاجابتهم بالموافقة . وهنا هددها واحد منهم قائلا :

« حذار .. حذار .. لو غيرت ما سبق أن شهدت به .. فمن السهل عندئذ أن تصبحى فى عداد الاموات .. ومن السهل أن يلحق بك جميع أفراد عائلتك فى العالم الآخر »

وفى الواقع ان منظر زينب وهى تقص هذا الكلام كان يدعو الى الشفقة والعطف .. كانت لاتعدو ان تكون فتاة صغيرة حطمتها وأرعبتها أهوال الحرب .. وكانت ترتجف هلعا مما قد يوقع بها من أهوال وعذاب جديدين .

وفى هذه اللحظة كانت تنظر الى جميلة بعيون فياضة بالاستعطاف والاسترحام وكانت عيناها الحزینتان الدامعتان تقولان لها (هل تنفقرين لى ؟ .. أرجوك ..)

أما جميلة فإن كل ما علقت به بعد سماع أقوال زينب « ليس لدى ما أقوله بخصوص ما ذكرته زينب فهو شيء من الحقيقة وكنت دائما أذكر الحقيقة في أقوالى » .

وقد حضرت وشاهدت أيضا كل من السجينات الجزائريات اللاتي كن نزيلات سجن جميلة بالجزائر وسمعن عن أهوال ما لاقته من تعذيب وهن زكية المهداوي وزليخة بن زين . وقد أكدت ما قالت زينب .

أما والددة جميلة فكانت تقف ساعتئذ وراء المجفة الطويلة التي ترقد عليها ابنتها أثناء حضورها الجلسة . . كانت إمارات السعادة تتراقص في عينيها وهي تمسح على شعر جميلة في حنو وحب دافق . كانت تكلمها في صوت قوى صادق النظرات عن الجزائر . . وحركة النضال في سبيل الاستقلال ثم ترطب لها وجهها بين حين وآخر بقليل من قطرات « الكلونيا » . . وتقول لها في نبرات دافقة « سنكون قريبا أحرارا » . .

وفي هذه اللحظة خيل لي أنني قابلت هذه الأم الباسلة قبل ذلك . . قابلتها في إحدى القصص البطولية التي لا تنسى . . قابلتها في شخصية امرأة متقدمة السن . . مليئة بالشجاعة والوطنية . . متشعبة بتقاليد مبادئ وطنها . . قابلتها في شخصية « بيلاجي » في قصة « الام » لكاسيم جوركي .

وفي اليوم التالي ذهبت ثانيا إلى قاعة المحكمة حيث تعقد جلسة لسماع أقوال الدكتور « ب » أو الطبيب الشاب الذي سبق أن حدثتكم عنه والذي حضر ذات مرة لمعالجة عبد العزيز بوباشا من آثار الجروح والكدمات التي أصيب بها أثناء التعذيب في سجن البيار والذي سأل عبد العزيز أثناء طبيبه عن سبب الصراخ المتعالى من إحدى حجرات السجن ، فأجاب عبد العزيز بأنهم يعذبون أحد المجاهدين .

وأمام القاضي قام هذا الطبيب بوصف سجن البيارا بمعنى آخر مركز التعذيب بالجزائر . وذكر أيضا أنه قام بمعالجة جميلة ذات مرة قبل نقلها إلى سجن حسين داي بسبب ما كانت تشكو منه من آلام مبرحة في الناحية اليسرى من صدرها وكان هذا الجزء من جسمها متورما .

وذكر أيضا أنه قام بمعالجتها مرة أخرى في سجن حسين داي أي عندما مرت بعملية تعذيب المرحلة الثانية وكانت تعاني عندئذ من أوجاع وآلام شديدة في أسفل بطنها . .

وفي اليوم التالي قام القاضي شوسيري بالإجراء النهائي للكشف عن شخصية الجناة الجلادين .

وعند افتتاح الجلسة أخرج من مكتبه الملف الذي يحتوي على صور العسكريين الذين ساهموا في عمليات التعذيب والتي كان قد أرسل في طلبها من السلطات المختصة بالجزائر .

ووضع القاضي ٩ صور أمام جميلة وطلب منها أن تشير بأصبعها إلى من تعرفهم . فأشارت جميلة للصورة رقم « ٧ » وهي لليتومانت « د » بسجن

البيار ثم أشارت الى الصورة رقم «٢» للضابط «ت» الذى يعمل بمركز التعذيب وقام بقية الشهود بعدها بالتعرف على نفس الجلادين ..

وانتهت الجلسة . ليكتب القاضى تقريره الخاص بالتعرف على صور بعض المتهمين والذى ينتهى بالجملة الآتية :

« وتم التعرف من كل الشهود على صور اثنين من المتهمين فى قضية التعذيب وحتى تتمكن السلطات بالجزائر من التغلب على الصعوبات التى تواجهها فى عملية ارسال صور « بقية المتهمين » ترفع الجلسة ..

وبذا قام هذا القاضى بكل ما بذله من جهد وتحقيق نزيه وتنقيب عن الحقيقة ، قام باعلاء كلمة الحق والعدالة . قام بتوجيه تهمة التعذيب والارهاب الشائن الى الجناة الحقيقيين ، وفضح حقيقتهم على مسمع من العالم اجمع .

وما زالت الاجراءات جارية للكشف عن حقيقة « الجناة » ولتحديد مسؤولية «المجرمين الحقيقيين » ..

كتب ثقافية

تقدم

فَنَّا الشَّعْبَ

عَبْدُ الْعَاطِي هَلَالُ

كتب ثقافية

تقدم

الزوجة اللامعة

مجموعة مسرحيات اجتماعية

تأليف: فوزي عبد القادر الميلاوي
تقديم: عزيزة أباظة
لوحات: سيف وانسي

كتب ثقافية

تقديم

الانسان والحداثة

تأليف: هرون دريد

ترجمة

الدكتور جمال الدين الريان

طبع هذا الكتاب على ورق صناعة شركة « راكتا »

طبع بمطابع
الدار القومية للطباعة والنشر
١٥٧ شارع عبید بروض الفرج
تليفون ٤٥٣٤٦ - ٤٥٤٠٥ - ٣١٦٢٥



١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج
تليفون ٤٥٣٤٦ - ٤٥٤٠٥ - ٣١٦٢٥

030
2
19b

Bibliotheca Alexandrina



0640272

الثن ١٠ قروش

العدد ٦